

المارشال
سمير قنبر

المارشال	: الكتاب
سمير قنبر	: المؤلف
أ / محمد حامد	: تصميم الغلاف
أ / محمد حامد	: المراجعة اللغوية
2015 / 19295	: رقم الإيداع
978 - 977 - 779 - 043 - 7	: الترقيم الدولي
مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع	: الإخراج الفني

المدير العام: عيد إبراهيم عبد الله

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 6 ش التحرير، الدور 18، أمام محطة مترو البحوث، الدقي، الجيزة

هاتف: 0237621688 - موبايل: 01142050403

الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com

البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

المارشال سمير قنبر

إبداع

Ibdaa
للنشر والتوزيع والترجمة

obeikan.com

إذا كُنت تَرى، أن في هذه الرواية حقائق تاريخية؛ فأنت حُر في اعتقادك، وإذا كُنت تَرى، أنها بُنيت بناءً على خيالي الخاص؛ فأنا حُر أيضاً في اعتقادي.

obeikan.com

" إنه الإنسان "

يموت الناس مُدافعين عن أفكار بعضهم، وبعض البعض؛ يلقي مثوبة من الإكرام والتخليد.

تُولى أناسا؛ لأنها نطقت بكلمات ربما لم تكن من صُنْعها، وعلى العروش ينيخون أفخاذهم.

عصا الملك تطغى بنسيان عقائد أتت بهم، ويعملون على صنع جديد العقائد.

تُستباح أعراض وأجساد وتُسلب الأرواح من عقول حاولت أن تكون كما يجب البشر.

ما لي لا أحاول جاهداً، أن أكون ملكاً ورئيساً حاكماً وأجمع ملذات من أجلها يتقاتل الناس عبر الأزمان.

لا هرقل ولا كسرى ولا حتى ريتشارد كان أسمى، أو أقل من صلاح الدين

على عرشه؛ فالدماء غطت صحاري وأودية زاخرة بَعْظام جُمعت فيها طيلة عصور مظلمة، ولكن شتَّان شتَّان ما بين محتل ومُدافع عن حقه.

طامعٌ في الملك كل إنسان إذا ما أتته فرصة، وصفحات التاريخ مليئة ببطولات سُيدت وارتقت على رُفات وأعمار، سَمَّها الإنسان بطولة وإقدامًا إذا ما كان مجاورا لمن قتل.

ولا القتل والدم؛ فرض أو فعل يرضاه رب السماوات.

فيا من تصنع لنفسك مجداً بضرب أعناق البشر، لا رب قد أباح ولا دين ناصحاً قد ولأك.

أنت من تفتن في صنع السيف، بعد أن قتلت ممسكا بصخرة، وأنا إن قتلتك؛ باحثاً عن تحرر من أطماع وضعت بذورها في أرضي يوم سال الدم على يديك ليكون الساقى، فأنا لم أحن ما خلقت عليه، بل جبَلتني أفعالك على البحث عن خائنٍ من نسلي أغوته غرائزه. فضعفي ليس مبرراً للتراجع عن استرداد الحق وإذا لم أكن في مثل قوتك فباستطاعتي استخدام ذكائي.

سمير قنبر

(١)

صلاح الدين

عندما يعترف عدويّ بعظمة أسلافي، فهو ليس فخراً؛ إنما تذكرةً بأنّ من نسلي دائماً هناك عظماء تطأطأت لهم الرؤوس حتى وإن كانت قد رحلت أجسادهم عن الدنيا، ولم يبق منهم إلا تراثٌ وتاريخٌ.

٧ نوفمبر ١٨٩٨ م

احتشدت الجماهير والأهالي والأعيان وأصحاب المقامات والضباط أمام محطة سكة حديد البرامكة في غرب دمشق بولاية الشام العثمانية انتظاراً وإجلالاً للإمبراطور المعظم (فيلهلم الثاني) إمبراطور ألمانيا وزوجته الإمبراطورة (أوغستا فيكتوريا) والذي قدم إلى دمشق لمشاهدة حضارتها والتمتع بعبقها التاريخي لمدة يومين بناءً على دعوة من السلطان (عبد الحميد الثاني) سلطان المملكة العثمانية بعد أن تمّ عقد اتفاقية تعاون اقتصادي وسياسي كامل، كان في انتظار الإمبراطور ناظم باشا والي دمشق وكل الوزراء والأهالي والرايات الخضراء والبيضاء علقت على جدران مبنى المحطة وأمامها وتقدم موكبه المهيب الخيول والحراسة حتى وصل إلى السراي العسكرية (دار المشيرية) جنوب المدينة ليقيم فيها يوميه التاريخيين، وجد احتفاءً تاريخياً بوجوده يليق بإمبراطور عظيم وعرضت عليه الكثير

من ثراء الحضارة الشامية القابعة منذ مئات السنين واستكمل يومه بحفل تشريفي فخم وتجول قليلا حول آثار المدينة وعقد لقاء قصير مع الوزراء والوالي حول السياسية العامة لدعم الإمبراطور للشام. وفي اليوم التالي يوم الثامن من نوفمبر زار الإمبراطور الجامع الأموي، قاعة عبد الله بك العظم، و جامع نور الدين، ضريح صلاح الدين الأيوبي، جامع السنانية، محل حانيا الرسول، و الصالحية، و بعض ضواحي المدينة.

بعد أن زار الجامع الأموي قام بزيارة ضريح صلاح الدين الأيوبي اعترافا منه بعظمة هذا البطل و قام بإهداء السلطان عبد الحميد الثاني، ضريحا من المرمر في غاية الروعة و الجمال تكريما لصلاح الدين الأيوبي، و وضع إكليلاً من الذهب على ضريح صلاح الدين تقديرا منه وعشقا لهذا البطل العظيم (صلاح الدين الأيوبي) اعترافاً منه بعظمته العسكرية والسياسية والتي بقيت على مرّ التاريخ لرجل طرد غزاة بلاده وحرّرها وطهرها من دنس الاحتلال الغاشم وأبلغ ما عبّر عن إعجابه به أن حضر على الإكليل الذهبي:

(فيلهم الثاني قيصر ألمانيا وملك بروسيا تذكّار للبطل السلطان صلاح الدين الأيوبي، فارس بلا خوف ولا ملامة علم خصومه طريق الفروسية الصحيح).

ثم توجه إلى مقر سراي الوالي ناظم باشا وألقى خطاباً تاريخياً على

الجموع الغفيرة من شرفة السراي:

" أراني مبتهجًا من صميم فؤادي عندما أتذكر بأنني في مدينة عاش بها من كان أعظم أبطال الملوك الغابرة بأسرها، الشهم الذي تعالى قدره بتعليم أعدائه كيف تكون الشهامة ألا وهو الفارس الباسل السلطان الكبير: صلاح الدين الأيوبي".

وقبل أن يغادر شكر لكل الجموع الاحتراف به وحسن الضيافة والاستقبال وقال في امتنان وافتخار:

(ما على الأرض أجمل من دمشق).

كررها مرتين وهو يودع مضييفيه، متجها إلى القدس، وبيروت، وغيرها من دول الشرق حاضنة الحضارة كما أطلق عليها.

استمرت رحلته داخل ولايات المملكة العثمانية ستة أسابيع كاملة قبل أن يعود مرةً أخرى مستقلا القطار من القدس إلى دمشق ثم الأستانة لتضرب المدافع إحدى وعشرين طلقة مدفعية وتتشد السلام القومي لإمبراطوريته الجوقة العسكرية العثمانية قبل أن يصعد سفينته الملكية (هوهنتسوليرن) لتضرب إحدى وعشرين طلقة مدفعية من الطرادين البحريين العسكريين البروسيين الملازمين لسفينة الإمبراطور ويودعه (السلطان عبد الحميد الثاني) في افتخار وابتسام ومن خلفه كل أركان المملكة من البشوات والقيادات العسكرية والمدنية.

تلك الزيارة التاريخية التي جاءت لتعبر عن الصداقة والاتفاق فيما بين المملكة العثمانية والإمبراطورية الألمانية في مواجهة دول الاستعمار الغاشم بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا. لم تكن لها أطماع استعمارية أو توسعية في أراضي المملكة العثمانية ولكن كانت لها أهداف اقتصادية ومصالح مشتركة تحاول دعمها بدعم مملكة الجوار لها " المملكة العثمانية " ومن هذا التعاون كان مد خط سكك حديدية يربط بغداد بالأناضول ومنها إلى الشام والبحر الأحمر ثم تأتي المرحلة الأهم وهي ربط برلين ببغداد وبذلك تتصل المصالح الاقتصادية وتزدهر في الوقت الذي كانت فيه فرنسا وبريطانيا تتنافسان على التحكم في الخليج الفارسي وخليج عدن مما يضر بمصلحة المملكة العثمانية والإمبراطورية الألمانية.

في عام ١٨٧٤ م قام السلطان عبد الحميد بإنشاء خط سكك حديدية في فلسطين (خط سكك حديدية يافا - القدس) وبعدها بسنوات تم إنشاء خط سكك حديدية بيروت ودمشق، وتزامن ذلك مع مد خط سكك حديدية في هضبة الأناضول.

وفي عام ١٨٩٦ م كان لزاماً على المملكة محاولة ربط كل أطرافها ودويلاتها من الشرق للغرب ومن الشمال للجنوب بخطوط سكك حديدية تحكم السيطرة عليها وتؤمن الخطوط العسكرية والمؤن وسبل الاتصال السياسي والعسكري، وتم في نفس العام تمويل فكرة

المشروع برؤوس أموال ألمانية بعد أن ضغط الإمبراطور (فيلهلم الثاني) نفسه على مدير بنك (دوي تشيه) الألماني والذي رفض الفكرة تماما وتخوّف من عدم قدرة المملكة العثمانية على دفع الأقساط وفوائد القرض الضخم لهذا المشروع، وهذا الرفض لم يأت من التخوف من فقد أموال البنك وإنما بضغط من بريطانيا باستخدام كل عملائها السريين العاملين داخل المملكة العثمانية وداخل بروسيا وبلاد الأرمن، إلا أن الإمبراطور لم يترك فرصة لمدير البنك ورئيس مجموعة الممولين للامتناع عن تمويل المشروع وفي خلال شهرين كان المهندسون الألمان ومساعدوهم من المهندسين العثمانيين ينزلون من محطة قطار (قونية) قادمين من الآستانة لعمل المعاينات اللازمة لموقع مرور خط السكك الحديدية من قونية، أضنة، مرعش ومنها لخط سكك حديدية حلب، غاري غنتاب، القامشلي، الموصل كمرحلة أولى وتمّ بالفعل تنفيذ أولى خطوات خط السكك الحديدية حتى تمّ ربطه بخط سكك حديدية دمشق ثم توقف بسبب ضغوط بريطانيا وتدخلها في كل ما يعطل استكمال المشروع ولكن إدارة النقل والمهمات العسكرية قد تمكنت من تحقيق جزء كبير من استراتيجيتها بربط آسيا الصغرى بالشرق الأوسط.

ورغم ذلك لم يتمكن السلطان (عبد الحميد الثاني) من إحكام السيطرة على جزيرة العرب وشرق البحر الأحمر فكلف الياور الخاص

(صادق باشا المؤيد العظم) مبعوثه السري والدبلوماسي والرحالة بمد خط تلغراف من دمشق وحتى مكة المكرمة وعمل دراسة وبحث تفصيلي عن إنشاء خط سلك حديدية يربط الشام بالحجاز وبخليج العقبة.

استمرت دراسة (صادق باشا) ستة أشهر كاملة استطاع خلال تلك المدة مد خط تلغراف من دمشق وحتى المدينة بأرض الحجاز تحمل خلالها وكل العمال والموظفون والجنود مشقة الصحراء الجداء والشمس الحارقة ومخاطر البدو من كل حذب مقفر استقر به وضرب خيمته ليقيم عموداً خشبياً يحمل أسلاك التلغراف وكانت نتائج الدراسة؛ أنه يمكن إنشاء خط سلك حديدية من دمشق وحتى المدينة فقط؛ لأن قبائل حرب والتي تعمل على نقل الحجاج بالإبل ما بين مكة والمدينة قد قاموا بثورة ورفضوا مرور الخط وهددوا بتدميره إذا ما تمّ إنشاؤه فتراجع (صادق باشا) عن إكمال الخط حتى مكة في دراسته.

لم يكن يأمن شر البدو من قبائل العرب في قفر صحراء الجزيرة، واضطّر أكثر من مرة إلى جمع شيوخ القبائل حوله وأغدق عليهم وقربهم منه وشاركهم الطعام والشراب حتى اقتنعوا بأن فكرة إنشاء خط سلك حديدية لن تضر بأية أعمال يقومون بها، تلك القبائل كانت تعتمد على الإغارة على القوافل المارة بالخط البري لطريق الحج للقادمين من إيران وروسيا وحتى بلاد الحجاز وللقادمين من الشام وآسيا الصغرى

شمالاً والقادمين من العقبة وسيناء غرباً، وتعتبر إغارتها على القوافل المارة رزقها الوفير.

وبعد نجاح واستخدام خط التلغراف تمَّ التحضير لإنشاء خط سكة حديد الحجاز من دمشق وحتى المدينة، على أن يكون طول السكك الحديدية ألف وثلاثمائة كيلومتراً تقريباً ويتمُّ بناء محطات فرعية بأبعاد ثابتة على مسافة عشرين كيلومتر لإمكانية تأمينها وإنشاء ستة محطات رئيسية تبدأ من دمشق، عمّان، معان (تلك المحطة التي يخرج منها خط فرعي حتى خليج العقبة)، تبوك، مدائن صالح، المدينة على أن يتمُّ ربط خط سكة حديد الحجاز بخط سكة حديد بيروت وفلسطين وبذلك يتمُّ ربط خليج العقبة بالحجاز والشام والأناضول وبغداد.

تمَّ اعتماد خطة (صادق باشا) وأصدر السلطان (عبد الحميد الثاني) فرماناً في مارس من عام ١٩٠٠ م للتنفيذ الفوري لإنشاء الخط، ولكن التمويل اللازم لإنشائه كان من العقبات الأساسية فلم تكن خزينة المملكة العثمانية قد تعافت من أقساط القروض البنكية التي تحصلها بنوك ألمانيا من جراء إنشاء خط سكة حديد الأناضول وبغداد.

قُدرت التكلفة الكاملة لإنشاء الخط بمبلغ ثمانية ملايين ليرة عثمانية نظراً لاستخدام القواطع الحاملة أسفل السكة الحديدية من الحديد بدلاً من الخشب خوفاً من البدو على طول الخط، فقد وجه السلطان (عبد الحميد الثاني) نداءً إلى كل الأقطار الإسلامية حول العالم وإلى

كل المسلمين داخل المملكة وخارجها؛ بأن يتبرعوا لإنشاء خط سكة حديد الحجاز والذي يخدم بالدرجة الأولى القادمين لرحلة الحج المقدسة بأراضي الحجاز، تبرع من أمواله الخاصة بمبلغ ثلاثمائة وعشرين ألف ليرة، وتبرع شاه إيران بمبلغ خمسين ألف ليرة، وخديوي مصر تبرع بكميات كبيرة من مواد البناء، وتبرع من بعدها الباشوات والأغنياء وأصحاب رؤوس الأموال والتجار وتمّ تخصيص طوابع بريدية يخصص ربعها لصالح المشروع في كل أنحاء المملكة، وتمّ خصم نسبة العُشر من مرتبات كل العاملين بإدارات المملكة بما فيهم الجنود، وتمّ طلب أن يتبرع كل العاملين داخل أقطار المملكة براتب شهر كامل، وتمّ فرض ضريبة خاصة؛ بأن يتبرع كل رجل بالغ داخل حدود المملكة بمبلغ خمسة قروش عثمانية لصالح المشروع، ووصل الأمر إلى جمع جلود الأضاحي كلها وبيعها لصالح المشروع.

تمّ استقدام مهندسون ألمان وفرنسيين ومعهم فريق كامل من المهندسين العثمانيين، وعمل بالمشروع ما يقرب من سبعة آلاف رجل، تنوعت أعراقهم وأراضيهم منهم من كان متبرعاً بعمله ومنهم من تقاضي ربع أجره بما فيهم الجنود والحرس، وعندما اكتملت المرحلة الأولى من المشروع في عام ١٩٠٤ م؛ تمّ تسيير القاطرات عليه واستخدام ربعها في استكمال المشروع، وتمّت أول رحلة حج لمجموعة حجاج قادمين من آسيا الصغرى ودمشق، والتي استهلكت

فقط أربعة أيام بعد أن كانت تستهلك أكثر من أربعين يوماً بقوافل الإبل والبغال، وحتى رحلة الحج للقادمين من مصر والمغرب العربي والتي كانت تستهلك ما يقرب من خمسين يوماً فالقطار المصري كانت آخر محطاته في القنطرة غرب، وكان يُستخدم أكثر في الاستخدامات العسكرية لصالح جيش بريطانيا المحتل والذي كان يُشرف على إدارة خطوط السكك الحديدية، وينتقل الحجاج من القنطرة غرب بواسطة سفن صغيرة لاستقلال قطار حيفا لاستكمال رحلتهم بواسطة الإبل، أصبحت اليوم رحلتهم تستهلك سبعة أيام فقط بعد ربط خط حيفا بخط الحجاز الحديدي.

هذا الخط والحلم الكبير الذي ربط أجزاء المملكة العثمانية بإدارتها وسهّل وسائل الاتصال والتعامل السريع، عمل على نهضة اقتصادية كبيرة في كل المدن التي مرّ بها، وعمل على انتعاش القبائل والأسر التي كانت تسكن في نطاق خدمته حتى أنه تمّ إنارة المسجد النبوي في المدينة بالكهرباء بمجرد إنشاء محطة المدينة المنورة والتي كانت محطة مركزية بها مراكز صيانة وأسواق وكرانتينة فحص طبي للجنود وغيرهم من المواطنين، وتمّ استخدامه تناوباً مع نقل المواطنين في خدمة الجيش العثماني وحامياته بدايةً من ساحل البحر الأبيض المتوسط وحتى المدينة المنورة وبلاد نجد وشرق خليج العقبة.

مما دفع بريطانيا للضغط بكل مركز قوة لها لمنع استكمال خط (بغداد

- برلين) الحديدي والذي تمّ محاولة استكماله عام ١٩٠٣ م لتتوقف كل الأعمال فيه عند محطة الموصل، وما لبث السلطان (عبد الحميد الثاني) أن يفتتح خط الحجاز الحديدي في شهر سبتمبر من عام ١٩٠٨ تزامناً مع ذكرى جلوسه على عرش المملكة حتى تفاقمت أزمة معارضية الثائرين والطامعين في الحكم من أعضاء جمعية (تركيا الفتاة) وجمعية (الاتحاد والترقي) والذين قاموا بانقلابهم على السلطان (عبد الحميد الثاني) بعد شهور من افتتاح خط سكة حديد الحجاز.

obeikan.com

(٢)

عبد الحميد الثاني

في أحيان كثيرة يمر الـوَزْغُ القَمِيءُ من أمام الأعين متسلقًا جدارًا ينام تحته صاحب الأعين، ولكنه لا ينفض ويتركه يتحرك بحرية دون ترهيبٍ فربما يرسل لسانه النتن ويمتص حياة من ذباب داوم على إزعاجه في منامه ولكن؛ الـوَزْغُ يختبئ ثم يظهر من جديد ويلوك طعامه تاركًا الذباب.

أول إبريل عام ١٩٠٤ م

في ميدان راسل بوسط لندن، وفي غرفة الاجتماعات الثانية في البهو الشمالي، من فندق راسل الشهير بعراقته وطرأه المعماري الشاهق بعقب عمارة عصور النهضة، تجتمع (مجموعة راسل) لأفضل عشرين جامعة في المملكة البريطانية، والتي يتم تخصيص ثلثي المنح المدعومة من المملكة لتلك الجامعات تلك المجموعة التي تختار من كليات كل جامعة طالباً متفوقاً ليمثل كليته وجامعته بشكل دوري وسنوي وفي الاجتماع السنوي فوجئ الحضور بوجود السياسي المخضرم رئيس حزب المحافظين البريطانيين ورئيس الوزراء (آرثر جيمس بلفور).

بدعوة من وفد جامعته التي تخرج منها (جامعة كامبريدج) وقد لبى الدعوة في سرورٍ كي يرى بنفسه ويستمتع لأفكار ورؤى الأجيال التي ستحل محله في العقود القادمة وخصوصاً المتفوقين الذين تخرجوا من كلية (إيتون) مثله والتحقوا بأفضل جامعات المملكة وأوروبا كلها، وبعد أن انعقدت جلسات نقاش حول الأمور السياسية والعلمية ومستقبل

المملكة طلب السيد رئيس الوزراء من كل وفد أن يعد ورقة عمل يلخص فيها رؤيته عن مستقبل المملكة وكيف يمكن أن يفيد بلده سعياً لتقدمها وازدهارها وخلال الاستراحة النصفية للاستمتاع بالشاي الساخن وتدخين البايب تقدم الطالب المتميز (حاييم وايزمان) والذي يدرس الكيمياء بجامعة مانشستر من مائدة السيد رئيس الوزراء وعرض عليه ورقة عمل أثارت تركيزه واهتمامه.

السيد (آرثر جيمس بلفور) والذي ولد عام ١٨٤٨ م في ويتنجهام باسكتلندا ودرس في المراحل الأولى تعاليم العهد القديم من الكتاب المقدس قبل أن ينتقل إلى كلية إيتون بلندن لاستكمال الدراسات العليا وجد في مخطوطة ورقية مقدمة من طالب أصفر اللون ويزين وجهه لحية مميزة جداً وابتسامته العريضة لا تفارق وجنتيه لتبرز أنفه الكبير فوق شاربه العريض، إنه لمصلحة أوروبا وخصوصاً مملكة بريطانيا العظمى وهي الراعي الأول للشعب اليهودي أن تؤيد مشروع تجمع اليهود في وطن خاص بهم يكون داعماً ومؤيداً وحليفاً للملكة ووضع قوسين حول كلمة (الصهيونية العملية) وقائلاً:

إن الإرث الديني والعقائدي لدى اليهود يثبت فكرة إقامة دولة في فلسطين تكون داعمة لمصالح المملكة ومؤيدة لها ومكملة لإرثها الحضاري وخصوصاً أن زعماء وأغنياء اليهود لطالما دعموا المملكة في كل الأوقات المتعاقبة وبذلك تكسب حليفاً دائماً في منطقة الصراع

الفرنسي الألماني الإنجليزي بالشرق الأوسط.

لمعت عيني (بلفور) ومسح على شاربه وهو ينظر إلى هذا الطالب النحيف بطوله الفارع وبزته الرمادية والتي تنتمي إلى أزياء الكتلة الشرقية من روسيا.

انتهى الاجتماع وجمع مساعد السيد (بلفور) كل الأوراق في حقيبة جلدية سوداء، واتجه إلى مكتب رئيس الوزراء، وجلس يتفحصها كما طلب منه، وتوقف عند كلمة السيد بلفور على الهامش العلوي لورقة طالب الكيمياء (حاييم وايزمان).

اجتمع السيد (إدوارد وردن) برؤساء اللجان في حزب المحافظين البريطانيين بصفته الرسمية كمفوض رسمي وعرض محتوى ورقة (حاييم وايزمان) وتعقيب السيد (بلفور) عليها، والذي كان يقضي بدراسة كل كلمة بناء على مجريات الأحداث، وطبقاً لسياسة الحزب، والتي تنص أول ما يكون على الحفاظ على الهوية الإنجليزية من هجمات الهجرة من كتلة أوروبا الشرقية الوسطى والغربية، وخصوصاً عمليات الاندماج المجتمعي التي تقم بها الجاليات اليهودية.

خلص الاجتماع إلى عدة نقاط موجزة لتعرض على السيد (بلفور) حتى يمكن اتخاذ قرار بشأنها، وكانت نتيجة لتلك النقاط الموجزة عقد اجتماع خاص بدعوة من السيد (بلفور) (لحاييم وايزمان) وكان

ذلك في أول مايو عام ١٩٠٤ م في مقر مجلس الوزراء بوسط لندن.

جلس (حاييم وايزمان) قبالة السيد بلفور مبتسماً طوال الوقت ومتحدثاً لبقاً حول إقامة وطن صهيوني يجمع كل يهود العالم حفاظاً عليهم من موجات الإبادة والقتل مثلما حدث مؤخراً في روسيا القيصرية، وتطرق الحوار إلى مجهودات الصحفي النمساوي (تيودور هرتزل)، أول من تحدث علانية واتخذ خطوات نحو الدعوة لإقامة دولة مستقلة لليهود في فلسطين، والذي قام بالدعوة لانعقاد أول مؤتمر يهودي دولي للصهيونية في سويسرا بمدينة بازل في صيف عام ١٨٩٧ م، والذي انتخب على أثره كرئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية.

أعجب السيد (بلفور) بإمكانيات (حاييم وايزمان) في الإقناع والحوار كما أعجبه آراؤه عن التوراة والعهد القديم.

وعقد جلسة موسعة مع لجنة خبراء عسكريين وعلماء متخصصون في التاريخ والدين والجغرافيا والسياسة، وتمّ استدعاء المسئول الأول: مفوض جهاز أمن وحماية المواطنين البريطانيين، وطلب منهم إعداد تقارير مفصلة عن الحركة الصهيونية في أوروبا وروسيا.

- انتظر منك في غضون شهر أن يكون أمامي تقريراً مفصلاً وشاملاً يا سيد جيمز.

- جاري التنفيذ يا سيدي.

وفي غضون أيام كان السيد (جيمز ستانلي) المفوض الأمني الأول في البلاد قد أوفد عملاءه السريين حول أوروبا وروسيا وحتى الآستانة والشرق الأوسط.

- سيدي هذا تقرير مفصل وشامل عن حركة الصهيونية العالمية الذي تزعمها الصحفي والأديب تيودور هرتزل في عام ١٨٩٧ م بعد انتهاء مؤتمر بازل في أغسطس من نفس العام.

- هل يمكنك تلخيصه في دقائق يا سيد جيمز.

- نعم يا سيدي، مفادة التقرير أن هرتزل بعد انعقاد المؤتمر الأول عمل على تشكيل رابطة منظمة واتصال دائم بين جاليات اليهود في أوروبا وروسيا وأيضاً المملكة العثمانية والشرق الأوسط وتمّ اختيار اثني عشر وفداً يمثل تلك البلاد واتفقوا على أن يعقد في كل عام في شهر أغسطس مؤتمرهم الدولي على أن يخرجوا بتوصيات قابلة للتنفيذ للوصول إلى إقامة دولة صهيونية تجمع يهود العالم وتكون لها سيادة كاملة.

- وهل في هذا التقرير الذي بين يديك تلك التوصيات ؟

- نعم يا سيدي، ولكن هناك شيء أشد خطراً من تلك التوصيات رغم أن مصدره غير مؤكد ولم نهتمّ به حين تمّ الإعلان عن وجوده .

- وما هو ذلك ؟

- إنها وثائق كتبها المخبر السري (ماثيو جولوفنسكي) في روسيا القيصرية ونشرها في الصحافة وينسبها إلى قادة المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ في بآزل والتي تنص في ملخصها على أن تلك المجموعة تهدف إلى إقرار توصيات يجب العمل بها على فترات زمنية متصلة من خلال منظمات اليهود حول العالم للسيطرة على العالم حتى يتمكنوا من ضمان الأمان لهم وسيادة العالم ونشر تعاليمهم ودينهم والذي من وجهة نظرهم أنه الدين الأوحيد وأنهم الشعب المختار من قبل الله.

- وما رأيكم يا سيد جيمز

- سيدي، إن أجهزة مخابراتنا بكل أقسامها الستة عشر تؤكد فعليًا أن المخابرات القيصرية الروسية هي من دبرت حريق كازينو بلدية بآزل يوم ٢٩ أغسطس لإمكانية الدخول والخروج دون أثر والحصول والكشف عمّا يدور من قادة اليهود المدعويين لحضور المؤتمر وتمّ لهم بالفعل الحصول على أوراق ومسودات للمؤتمر من الطابق الثاني خلال الاجتماع الخاص بالقادة الاثنى عشر وعلى رأسهم هرتزل نفسه والذي نجا من الحريق بأعجوبة وهذا يؤكد أن بعض ما نشره (ماثيو جولوفنسكي) ربما يكون صحيحًا إلا أن هناك نظرية أخرى يتبناها السيد (هانز ويلز) رئيس القطاع الثالث وهي أن المخابرات القيصرية الروسية بنت تلك الادعاءات بعد أن وجدت تشابها لأحلام اليهود مع ما خطه نابليون الثالث بيده تحت اسم الأفكار النابليونية عام ١٨٤٦ م

عندما كان يقيم في لندن قبل أن يعتلي عرش فرنسا.

- هل هناك غير ذلك ؟

- نعم يا سيدي التقرير الثاني لدي، ملخصه أنه بعد أن عزف أغنياء اليهود ورفضوا الانصياع لأحلام هرتزل عمل على الدعوة لكل الطوائف اليهودية ليكون المؤتمر الصهيوني الأول وقد خرجوا منه بالاتفاق على إقامة وطن قومي صهيوني مستقل في فلسطين بعد أن رفضت معظم الطوائف وخاصة يهود روسيا الموقعين الآخرين والذين اقترحوا سابقاً في الأرجنتين وأوغندة وهددوا بانسحابهم من المؤتمر إذا لم يكن الهدف هو إقامة وطن قومي في أرض الميعاد كما أسموها وهي "فلسطين". وبناءً عليه سعى تيودور هرتزل للاتصال بالسلطان عبد الحميد الثاني من خلال رسائل أرسلها له يطلب فيها أن يمكنهم من إنشاء وطن قومي لهم على أرض فلسطين نظير مبالغ وقروض تقدم للخزينة الملكية. ولكن السلطان عبد الحميد الثاني رفض بشكل قاطع مطلب هرتزل فلم يكن منه إلا أن زاره ومعه الحاخام اليهودي (موسى ليضي) و(عمانيول قره صو)، رئيس الجالية اليهودية في سالونيك بالمملكة العثمانية وعرضوا عليه هدية مقدارها خمسة ملايين ليرة ذهبية وإقراض الخزانة الملكية قرض يدفع فوائده اليهود في فلسطين بعد أن يتمكنوا منها على أن يكون هناك تأييد من المملكة كحليف سياسي.

- وماذا فعل السلطان عبد الحميد الثاني؟

- رفض بشكل قاطع يا سيدي وطردهم من مجلسه قائلًا ((إنكم لو دفعتمَّ ملء الدنيا ذهبًا فلن أقبل، إن أرض فلسطين ليست ملكي إنما هي ملك الأمة الإسلامية، وما حصل عليه المسلمون بدمائهم لا يمكن أن يباع وربما إذا تفتت إمبراطوريتي يوما ما، يمكنكم أن تحصلوا على فلسطين دون مقابل))، ثم أصدر أمرًا بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين.

- لطالما كان هذا السلطان عنيدًا ومتكبرًا ويتخيل أن موازين القوى لا تتغير وسيبقى هو على رأس الخلافة الإسلامية، هل هناك المزيد يا سيد جيمز؟

- نعم يا سيدي التقرير الثالث، بعد رفض السلطان عبد الحميد الثاني طلب (هرتزل) ومنع اليهود من الهجرة لفلسطين والتضييق عليهم في أراضي الحجاز والشام كلها، لم يكن من هرتزل إلا أنه دعي لإقامة مؤتمره الثالث لدينا في لندن تحت رعاية السيد (جيمس أرماند دي روتشيلد) رجل الصناعة الشهير والذي كان ضد المشروع الصهيوني في بادئ الأمر إلا أنه اقتنع بفكرة (حايم وايزمان) لدعم الفكرة للمحافظة على المصالح البريطانية من اندماج الكتل اليهودية الوافدة إلينا من أوروبا الشرقية.

- وماذا بعد أن اقتنع؟

- تمّ تشكيل لجان يهودية تتبع المحفل الماسوني البريطاني لزيادة الضغط على السلطان عبد الحميد الثاني بتشويه أفعاله وتصرفاته في كل من صحافة أوكرانيا وهولندا وغرب أوروبا وطبعاً الولايات المتحدة الأمريكية مع العمل على تحريك الكتل العرقية داخل المملكة العثمانية للمطالبة بالتححرر والاستقلال.

- وهل كانت هناك نتائج؟

- بالفعل يا سيدي كانت هناك نتائج فعلية من خلال استخدام الطلاب الوافدين إلى المملكة البريطانية لطلب العلم والأحرار الهاريين من وطأة ظلم السلطان عبد الحميد الثاني ونتيجة لذلك تمّ تأسيس جمعية الاتحاد والترقي من خلال أعضاء جمعية الاتحاد العثماني بعد ضم أصوات ليبرالية إليها اكتسبت وعيها السياسي من خلال مناهجنا الدراسية وتمّ أيضاً تدشين جمعية تركيا الفتاة والتي تهدف هي الأخرى للاستقلال ورفض مبدأ الخلافة الإسلامية الشمولية تحت حكم واحد وإقرار دستور كامل يضمن إرساء مبادئ اللامركزية السياسية وتوفير الحرية لسائر المواطنين.

- النتائج يا جيمز؟ النتائج؟ نحن في عام ١٩٠٤ الآن ما هي النتائج؟

- سيدي (بلفور) يعجبنا دائماً طريقتكم المباشرة في الدخول لصلب المواضيع، النتائج كانت أولها بانضمام صهر الملك عبد الحميد الثاني

(الداماد باشا وولديه صباح الدين ولطف الله) إلى حركة الاتحاديين مجتمعة وأيضاً انضمام مجموعات من الضباط العسكريين في البعثة الطبية وغيرهم واقتناعهم الكامل بضرورة إقرار دستور ينظم الحكم داخل المملكة مما كان له التأثير الكبير على كامل صفوف وضباط الجيش الخامس في سوريا ومنه إلى باقي الجيوش في كامل السلطنة مما دعم تلك الجمعيات بثقافات وقوى مختلفة يكون لها تأثير على أرض الواقع، وكانت النتائج في ملخصها تقويض التبعية العسكرية الكاملة لحكم السلطان عبد الحميد الثاني والتراخي نحو الحركات والأصوات المنادية بالاستقلال في أنحاء المملكة..

- ولمن كانت تلك الأصوات ؟

- تلك الأصوات جميعها حركها المحفل الماسوني بمملكة بريطانيا العظمى تحت إشراف عناصر مدربة وموجهة وتابع لها فصائل يهود الدونمة داخل السلطنة فمنهم الكثيرين انضموا إلى الإسلام إلا أنهم بقيت بداخلهم عقيدة توراثية في عمقها البحث عن وطن يجمع اليهود على أرض فلسطين. وهي بالفعل تركت الأثر المنشود وأصبحت أجزاء كبيرة من السلطنة تعادي السلطان عبد الحميد الثاني وتنتظر الفرصة للانقضاض عليه والخلاص من خلافته طمعاً في الاستقلال وإقامة جيتو خاص بأعراقهم بعد قمع دام لقرون طويلة.

- شكراً لك جيمز.

- عفواً سيدي؛ في انتظار أوامرکم.

- كل التقارير الخاصة بالسلطان عبد الحميد الثاني تبقى سرية تماماً وتضع لك بشكل مباشر ولا يكون من نتائجها إلا ما يصل إليك في أمر مباشر من رئيس وزراء مملكة بريطانيا العظمى بصفته الرسمية.

- علم و نفذ يا سيدي.

(٣)

أوزاغ

ما الخَوافي كالقَلبَةِ، ولا الخُنَّازُ كالشُّعْبَةِ

(مثل عربي في بلاد نجد)

١٣ أغسطس ١٩٠٤ م

بالقرب من نهر التايمز، في المقاطعة الملكية بيركاشير، جنوب شرق إنجلترا، وفي القصر الملكي العريق، "قصر ويندسور"، والذي ارتقى من كونه قصرًا ملكيًا إلى قلعة ملكية متكاملة، لها خمسة أبواب تعلوها أبراج مسلحة للحماية والتأمين، وتمتد أسوارها المنيعة، لتُحيط بكامل بناء القلعة بداية من البناء الرئيسي لها، والذي تمَّ إنشاؤه منذ أكثر من تسعمائة سنة، وحتى الأبنية الخدمية والترفيهية، وغرف الاجتماعات والأعمال وحتى الملاعب والحدائق الغناء.

وخلف الباب الثاني والرئيسي للقصر، يوجد مقر الإدارة الملكية لعائلة ويندسور الملكية، وهذا المقر الذي أُخْتِير وُخِصص لانعقاد الجلسات الخاصة، والتي ستؤثر على حجم التوسع في حدود وملكية المملكة العظمى.

بعد اجتماع دام لما يقارب الساعة في قصر باكينجهام، بين رئيس الوزراء (آرثر جيمس بلفور)، زعيم كتلة حزب المحافظين في مجلس العموم، وصاحب الجلالة (إدوارد السابع) ملك المملكة المتحدة، ملك دول الكومنولث وإمبراطور الهند.

تمت الموافقة من صاحب الجلالة على مقترح السيد (بلفور) بصفته رئيس حزب المحافظين البريطاني بإقامة مؤتمر سري ودعوة رئيس وزراء كل من: بريطانيا، فرنسا، هولندا، بلجيكا، إسبانيا، إيطاليا، للتباحث حول إيجاد آلية تحافظ على تفوق ومكاسب بريطانيا حول العالم، وإعداد خطة سياسية محكمة لمواجهة التوسع الاستعماري لألمانيا في أوروبا وآسيا.

في المقر الملكي الإداري بقصر وندسور، والذي خصصه صاحب الجلالة (إدوارد السابع) لإقامة المؤتمر، وقف السيد (بلفور) بصفته الرسميتين كرئيس لوزراء بريطانيا العظمى منذ الحادي عشر من يوليو عام ١٩٠٢م ورئيس حزب المحافظين البريطانيين منذ السابع عشر من يوليو عام ١٩٠٢م، في كامل الأبهة والهندام الكامل، مرتدياً معطفه النصفي من الكشمير، وممسكاً بعصاه العاجية التي تدل في اقتناءها على السطوة والقيادة، وسلسلة ساعته الرولكس الذهبية تتدلى من جيب الصديري، وتنعكس عليها الأضواء الصفراء المشعة من مشكوات القصر الملكي العريق، وتعلو وجهه ابتسامة كبيرة تُبرز

السوالف الكبيرة، والتي تمّدت حتى انحناء عظم الفك لتشكل تقسيم أرسطراطي سياسي مع الشارب العظيم بلونه المتدرج من الأسمر وحتى الذهبي اللامع.

بعد مرور ثلاث سنوات، وهو يتولى المنصب، ويحاول جاهداً تطبيق سياسة حزبه بالمحافظة على مصالح المملكة من العمل على إصدار قرارات وتشريعات تحد من عمليات الهجرة الوافدة إليها من دول أوروبا الشرقية، وخصوصاً هجرة اليهود، والتي ازدادت في نهاية القرن التاسع عشر، وأصبحت منتظمة ومنظمة، وفي الجانب الآخر المشكلات التي تواجه جيوش المملكة في المستعمرات الهندية والإفريقية، ومحاولات التضييق التي تجدها من ألمانيا وفرنسا في المنافسة على توسيع الرقعة الاستعمارية على حساب المملكة.

بعد مداوات طويلة ومكثفة في مقر الحزب، خلصت اللجنة التي أعدها إلى فكرة دعوة الدول الاستعمارية إلى مؤتمر سري، لوضع آلية وورقة عمل للحد من المنافسة حول توسيع الرقعة الاستعمارية، وعمل توازن سياسي وعسكري في أفريقيا ودول البحر الأبيض المتوسط.

اليوم يقف مزهواً وفرحاً، بحضور وفود الدول التي دعيت لحضور مؤتمره السري، بعد أن جهز ورقة عمل كاملة، قام بإعدادها فريق كامل من العلماء في الجغرافيا والاقتصاد والبتروول والتعدين والتاريخ.

- مساء الخير سيدي.

- مساء الخير إدوارد.

- هل قمت بإعداد كل شيء كما يجب ؟

- تمّ ترتيب كل الموائد وآليات الحوار والنقاط وأوراق العمل على أكمل وجه يا سيدي.

- أحسنت يا سيد إدوارد.

تتوسط القاعة منضدة الاجتماعات الفخمة، وتزهو باستدارتها التاريخية، ومن حولها وضع اثنا عشر كرسيًا من خشب الماهوجني الأحمر، نُحِتت بأجمل التقاسيم وشهدت على عصور من الاجتماعات الملكية بعد أن جاءت من غابات أفريقيا الوسطى، ككتل إسطوانية أطوالها لا تتعدى الستة أمتار منذ مائتي عام على سطح البوارج الإنجليزية تنعم بالشمس والهواء، وتتجمع قطرات البخر البحري في كل ليلة قبيل الفجر، لتتساقط قطرات من المياه الدافئة، وتسيل في خطوط، متوجهة نحو أقبية البوارج، والتي كانت تُعج بملاكها مقيدين بالسلاسل بعد أن أُقْتيدوا كعبيد متوجهين إلى بلاد الضباب، ليعملوا في ورش ومسابك الحديد والنحاس ومصانع تشكيل الأخشاب بكل أنواعها.

فاحمرار الماهوجني وازدهاره الشامخ، بعد أن تشكل ككرسي يجاور

منظمة الاجتماعات، استقى عمق لونه وأصالته من لون الأيادي التي شكلته، والتي كانت تتأرجح فرحاً على أغصانه منذ سنوات.

وعلى بعد أمتار قليلة من منظمة الاجتماعات، تتراص صفوف قليلة من الكراسي، استعداداً لجلوس الوفود الملازمة لرؤساء الوزراء وعلمائهم وخبرائهم، الذين دُعوا ليشاركوا آرائهم العلمية والبحثية مع علماء (بلفور) الأماجد، والذين كانوا دعائم الأكاديمية الملكية للعلوم ببريطانيا.

- أهلاً وسهلاً بكم جميعاً سادتي..

أنا (إدوارد وردن) المفوض الرسمي، ونائب السيد بلفور رئيس حزب المحافظين، قمت بدعوتكم، بناء على طلب من حزب المحافظين البريطانيين، بعد إعداد رؤية وورقة عمل، ستعرض عليكم الآن بكامل تفاصيلها. وسيلقى البيان الافتتاحي عليكم، السيد (آرثر جيمس بلفور) كرئيس لحزب المحافظين البريطانيين، وصاحب الدعوة والرؤية، وبصفته الممثلة كرئيس لوزراء مملكة بريطانيا العظمى. تفضل سيدي ..

- شكراً سيد (وردن)

- السادة رؤساء الوزراء، السيد (ايميل كونب)، السيد (بول دي سميث)، السيد (اليساندرو فورتيس)، الدوق (اليكسيس أورباني)،

السيد (إديلو دي لويس).. أهلا ومرحبا بكم، على أرض صاحب
الجلالة..أما بعد..

((إن الإمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تستقر إلى حدٍ ما ثم
تنحل رويداً رويداً ثم تزول والتاريخ ملئٌ بمثل هذه التطورات وهو لا
يتغير بالنسبة لكل نهضة ولكل أمة، فهناك إمبراطوريات: روما، أثينا،
الهند والصين وقبلها بابل وأشور والفراعنة وغيرهم.

فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون سقوط الاستعمار
الأوروبي وانهياره أو تؤخر مصيره ؟

وقد بلغ الآن الذروة وأصبحت أوروبا قارة قديمة استنفدت مواردها
وشاخت مصالحها، بينما لا يزال العالم الآخر في صرح شبابه يتطلع
إلى المزيد من العلم والتنظيم والرفاهية، هذه هي مهمتكم أيها السادة
وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا على مستقبلنا خلال العقود
القادمة، وكل التقارير التي أُعدت على يد الخبراء كل في مجاله،
تنبئ بأنه يجب علينا إعداد خطط محكمة وممنهجة للوصول لغايتنا
المنشودة بدقة، ودون تأخير أو تراخي مهما كانت المسببات.))

obeikan.com

(٤)

بغلُ أغم

عندما يمشي بغلٌ غاشمٌ نتج من تزواج حصان هجين مع حمارة خانعة، فإنه يدوس الأرض ولا يتخيل أن له حوافر فربما يدوس عنزة تقف في حنوهي تُرضع جديها الصغير، وإذا ما ضربه الراعي، ازدادت قوته لعدم إدراكه أن الضرب تأديب وتخويف وليس ليسمّن جسده، متخيلاً أن كل ذوات الأربع بغالٍ مثله.

٥ ديسمبر عام ١٩٠٥ م

فشل حزب المحافظين في المحافظة على تكتله داخل مجلس العموم وفاز حزب الأحرار بفارق بسيط ليشكل الحكومة برئاسة السير (هنري كامبل بانرمان) وفي ثاني يوم وعند اجتماع رئيس الوزراء السابق (بلفور) برئيس الوزراء الجديد وجب عليه طبقاً للوائح والأعراف الملكية المتبعة تسليم كامل البيانات والمعلومات المتوفرة لديه سواء كانت مدونة ومكتوبة أو شفهيًا.

وعليه تمّ تقديم تقرير كامل ومفصل عن مشروع ومقترح حزب المحافظين برئاسة (بلفور) بوضع آليات وأسس تضمن تفوق المملكة البريطانية العظمى في التوسع الاستعماري في إفريقيا وآسيا ومنطقة المنافسة في الشرق الأوسط.

تسلم السير (بانرمان) التقرير كاملاً وهو يبتسم ويشكر السيد

(بلفور) على مجهودات حزبه وطريقة إدارته للحكومة والمحافظة على مصالح بريطانيا العظمى.

وبعد انتهاء الاجتماع، استقبل السيد (جيمز ستانلي) في مكتبه وقدم إليه ملفين: الأول يطلب فيه كما طلب من سابقه إنشاء جهاز (ميم ستة عشر) ليكون الجهاز الأمني والمخابراتي القائم على حماية المواطنين البريطانيين داخل المملكة وخارجها والملف الثاني كان الملف الخاص بوجهة النظر البريطانية الأمنية والسياسية في تفتيت السلطنة العثمانية حتى تتمكن بريطانيا العظمى من توسيع نفوذها السياسي والعسكري الاستعماري في المناطق التي تتبع السلطنة مع العمل على استخدام الحراك اليهودي في ذلك والتخلص من تواجدهم داخل المجتمع الإنجليزي.

- بخصوص طلبك الأول يا جيمس أنا أوافق عليه ولكن ليعمل جهازك الأمني وكل أقسامه الآن على حماية نفوذ بريطانيا خارجًا وحول المستعمرات الإفريقية والهندية. أما الملف الثاني هذا فاترك لك وضع الخطوط الرئيسية له في ملخص واضح حتى يمكنني البت فيه.

- علم وتمَّ يا سيدي وهذا ملخص واضح عن كل ما تحويه تلك الأوراق .

بعد أسبوعين في مقر مجلس الوزراء بوسط لندن، أصدر السير (بانرمان) قرارًا شفهيًا إلى (جيمز ستانلي) بسرعة الاتصال بالوفود

المشاركة في المؤتمر الاستعماري السري، لعقد مؤتمر طارئ.

وتتم إقرار جلسات دورية كل شهرين في قصر ويندسور الملكي تمتد لمدة ثلاثة أيام؛

اليوم الأول تتم المناقشات حول الأوضاع السياسية للمنطقة المرغوب توسيع النفوذ الاستعماري فيها مع العمل على إيجاد آلية دائمة للتعاون السياسي حتى لا تتعارض المصالح.

اليوم الثاني خصص للاستماع لآراء العلماء المنتدبين من كل دولة حول الإرث التاريخي والحضاري لذات المنطقة المرغوب استعمارها.

اليوم الثالث خصص للوصول لتوصيات محددة تدون في المضبطة لحين الانتهاء من جدول الأعمال.

وبعد الانتهاء من المؤتمر توجه السير (بانرمان) إلى مقر المحفل الماسوني البريطاني الأعظم في غرب لندن بدعوة من السيد (جيمس أرماند دي روتشيلد) رجل الصناعة الأول وصاحب شركة إنشاء السكك الحديدية في بريطانيا العظمى وممول عمليات البحث والتنقيب عن البترول في المستعمرات الإفريقية

في منطقة كوفنت جاردن الواقعة وسط لندن على الحدود الشرقية للمدينة ومروراً بساحة بيازا وعلى بعد أمتار من كنيسة القديس بولس، توقفت سيارة السير بانرمان بلونها الأسود وخيولها الأربعة، فقد فضل

عدم الذهاب بسيارته الرولز رويس والتي تعد واحدة من أول أربع عشرة سيارة تمَّ تصنيعها في المملكة حتى لا يلفت إليه الأنظار أمام مبني شاهق من خمسة طوابق له أبواب ضخمة ومنحوت على أخشابها طرز الفن الفيكتوري والروح الأوروبية في العصور الوسطى وبالقرب منه باب صغير فُتح بهدوء ووجد خادماً يرتدي بذلة حمراء اللون تميل إلى القاني المتدرج لحمرة الأرض منحنيًا ومبعدًا عينيه عن وجه السير بانرمان مستقبلاً ومرحبًا

- تفضل من هنا سيدي سير بانرمان

- أهلاً بك

- أهلاً سيدي إن سيدي جيمس في انتظار تشريفكم، من هنا سيدي

وقاده إلى الصعود إلى الطابق الثالث ومروراً ببهو طويل وضيق فُتح باباً كبيراً عليه رمز كبير نحت فيه وبرزت أركانه السُداسية الشكل

وجد السيد (جيمس أرماندي روتشايلد) في استقباله مرحباً ومبتسماً ويرتدي عباءة بيضاء فضفاضة تحتوى كامل جسده ولها شريطين بلون أحمر يمتدا من الكتفين وحتى أسفل قدمه وفي منتصفهم شعار الماسونية العالمية بالنجمة السداسية وطرزت أركان الشعار بخيوط من ذهب وفضة

برقت في عينه مجرد أن نظر إليه وابتسم في وجه السيد جيمس وهو

مشدوهاً بهذا الكيان والغموض الذي يشهده.

- لم أعرف أنك ملكا يا سيد جيمس !!

- كلنا في خدمة بريطانيا العظمى وصاحبة الجلالة يا سيدي، أهلاً بك

- لما دعوتني ؟ ولماذا ترتدي هذا الزي ؟

- تفضل سيدي إلى غرفة المحفل فمقامك من مقامها لدينا.

وقف السير بانرمان تلفه الدهشة مما رأى، غرفة كبيرة ومتسعة وفي نهايتها الغربية ثلاث درجات من سلم ضخم نحتت من الرخام يعلوها شمعدان ثماني منير بشموع ضخمة ويعلوها شعار ضخم لنجمة سداسية بداخلها عين.

وعلى تلك الدرجات يجلس ثلاثة عشر رجلاً يرتدون عبااءات مختلفة الألوان ومرتبين عند جلوسهم كما لو كانوا على رقعة شطرنج.

- إنه السير بانرمان يا سادة، رئيس وزرائنا وحامي مصالح كل القيم الإنسانية وراعي حرية الإنسان في إقامة حياة آدمية تليق به.

- نعرف جيداً من هو السير بانرمان.. نيابةً عن نيافة المجلس أرحب يا سيدي وإنه لعظيم الشرف تلبية دعوتنا ونعتز بأن تكون عضواً في محفلنا العظيم الذي يبحث عن رُقي الإنسان كما خلقه المهندس الأعظم.

وبعد جلسة من النقاش على المائدة البيضاوية في منتصف القاعة المركزية للمحفل امتدت ساعتين ونصف.

- إنه لشرف عظيم لي أن تدعوني لأكون عضواً في محفلكم العظيم وأنا أرحب بتلك العضوية

- نزداد افتخاراً وتقديراً بقبولكم ونرجو منكم قبول ميثاق قبولك كعضو فاعل وعامل معنا في أخوتنا

- إذن فليكن !!

- نستأذنكم سيدي بالركوع فقط على الركبة اليسرى وأن ترفع يمينك ثم آمن على ما أقول بقلبك وعقلك قبل لسانك:

إنه أنا الرئيس الأعظم للمحفل الماسوني البريطاني الأعظم، عبدك "جيمس أرماند دي روتشيلد" .. "أيها الإله القادر على كل شيء القاهر فوق عباده، أنعم علينا بعنايتك، وتجلّ على هذه الحاضرة، ووفق عبدك هذا الطالب الدخول في عشيرة البناءين الأحرار إلى صرف حياته في طاعتك ليكون لنا أخاً مخلصاً حقيقياً.. آمين"

- آمين

- بذلك سيدي، أصبحت عضواً فاعلاً ودائماً لدي المحفل الماسوني الأعظم ولك أن تعلم أن كل أعضائنا فعلاً من الأغنياء وعلية القوم أدباً وتعليماً وفكراً وحتى نسباً وتاريخاً.

وبذلك كسب المحفل الماسوني الأعظم في بريطانيا أقوى رجل في العالم مما سيعطى الدفعة والقوة المطلوبتين لنشر المحافل حول العالم والمحافظة على عدم التشتت وترك الأصول مشاعاً لكل عقل ليبدل فيها ويعدل، فقد تمَّ إنشاء المحفل بهدف وقصد الخدمة الإنسانية نحو ارتقاء الإنسان إلى درجة الإنسانية التي خُلق عليها وتجريد المجتمعات من الطبقات التي تساقطت عبر الأزمان وانزوت وتمرغت في غرائز الحيوان واختارت أن تتدرجَ لأسفل وليس الارتقاء لأعلى.

(٥)
الضَّبَاع

يأتي إلى داري طالبًا أن أجودَ عليه، وبعد الجود يستلّ سيفه مهددًا
رقابِ صِغاري، وما هو بالشرف عارفًا، فمن أين يعلم وقد جاء إلى
الدنيا سَفاحًا؟ تبقى الذئاب جائعة ولا تأكل الجيفة وإن خرجت من
أفواها آخر الأنفاس.

(الجلسة الختامية) منتصف يوليو عام ١٩٠٧ م

في مقر قصر وقلة ويندسور وفي الجلسة قبل الختامية للمؤتمر الاستعماري السري عام ١٩٠٧ م يلقي السير (بانرمان) البيان الختامي لإنهاء المؤتمر استعداداً لتصفية نتائج الجلسات على مدار سنتين وبحضور أربع عشرة جلسة متكاملة غير الجلسة النهائية - السادة الوزراء والحضور جميعاً...

كان من دواعي الشرف أن أكون الداعي الرسمي لكم لعقد هذا المؤتمر السري المهم والذي تحدد نتائجه شكل العالم في القرون القادمة. إن الإنسان خُلق على صورته الحالية وكُرم وكان أفضل الموجودات على سطح الأرض، أختير ليكون السيد والقاهر على الأرض، ولكن على مدار السنوات واضمحلال الأفكار وتعاقب التغيرات البيئية، نتجت أجناس وتحولت من رُقيها إلى درجات أقل إنسانية، واستخدمت

في ذلك كلمات قُدمت ورُفعت إلى أعلى درجات الاحترام والتبجيل، تلك الكلمات لها تأثير السحر الكامل على عقول الجهلاء والكسالى والضعاف والمبعدون والبعيدون عن ركب الحضارة والتطور، مما خلق جيوشاً وشعوباً تكاثرت وتناسلت على مرّ عقود طويلة، وأصبحت هناك إمبراطوريات تضخمت وتفحلت حتى كادت أن تحتل كل اليابسة على وجه الأرض، ولكن دائماً هناك نور ينبثق ويظهر ويتزايد حتى يملأ الأرض كلها ويزيل بوجهه غيمات الجهل فتستتير الأعين لتعلم جيداً أن رقي الإنسان يكون بحضارته الخاصة وما صنعت يده لا عدة كلمات تقولها وتنتظر أن تتغير الدنيا من حولك ولذلك يجب على الأعراق السامية والمنتورة والباحثة، أن تقود دائماً كل البشر حتى لا تسبب تلك الطبقات والنوعيات من سحب كل البشرية نحو الهلاك.

مشاعل القصر تزدهر وتتموج ألوية الضوء منها وتنعكس على صفحات نهر التاييمز الرائق والهادر بمياهه ومن خلف النهر كانت أسواق تقام وتزدهر بألوان من بهرجة الاحتفالات الدائمة تقريبا طول العام.

- السادة الأماجد رؤساء الوزراء، بعد أن انتهينا من جدول أعمال شاق، أعلن عليكم اليوم خلاصة ما تمّ العمل عليه بعد استشارة الهيئات المكملة لنا من العلماء كل في مجاله، هذا ويجب العمل والتكاتف دائماً لإنجاح توصيتنا كاملة دون تراخي أو تأجيل كما أنه سيتمّ توقيع نسخة من النتائج بالحروف الأولى لكل رئيس وزراء لتكون وثيقة عمل دائمة

تورث لمن يخلفه في المنصب بحثًا عن رخاء بلادنا وتقدمها ومحافظة على التوازن الإنساني في هذا الكوكب.

"إن البحر الأبيض المتوسط هو الشريان الحيوي للاستعمار! لأنه الجسر الذي يصل الشرق بالغرب والممر الطبيعي إلى القارتين الآسيوية والأفريقية وملتقى طرق العالم، وأيضًا هو مهد الأديان والحضارات". والإشكالية في هذا الشريان هو أنه يعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوفر له وحدة التاريخ والدين واللغة ولذا يجب علينا العمل من خلال مخططين متوازيين زمنيًا وتنفيذيًا

المخطط الأول: إبقاء شعوب تلك المنطقة مفككة وجاهلة ومتأخرة حضاريًا وعلميًا، فعند النظر إلى دول العالم سنجد أنها تنقسم إلى ثلاث فئات فقط..

الفئة الأولى: دول الحضارة الغربية المسيحية (دول أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا) والواجب تجاه هذه الدول هو دعم هذه الدول ماديا وتقنيا.

الفئة الثانية: دول لا تقع ضمن الحضارة الغربية المسيحية ولكن لا يوجد تصادم حضاري معها ولا تشكل تهديدًا علينا (كدول أمريكا الجنوبية واليابان وكوريا والصين وسيلان)، والواجب تجاه هذه الدول

هو احتواؤها وإمكانية دعمها بالقدر الذي لا يشكل تهديدًا علينا وعلى تفوقنا الدائم استراتيجيًا وسياسيًا.

الفئة الثالثة: دول لا تقع ضمن الحضارة الغربية المسيحية ويوجد تصادم حضاري معها وتشكل تهديدًا لتفوقها (وهي بالتحديد الدول العربية بشكل خاص والإسلامية بشكل عام) والواجب تجاه تلك الدول هو حرمانها من الدعم ومن اكتساب العلوم والمعارف التقنية وعدم دعمها في هذا المجال ومحاربة أي اتجاه من هذه الدول لامتلاك العلوم التقنية والتطور العلمي

المخطط الثاني: محاربة أي اتجاه وحَدَوِي في هذه الدول، والعمل على فصل الجانبين الآسيوي والإفريقي، وقد تمَّ ذلك من خلال مقترح لإقامة دولة لليهود في فلسطين على مشارف البحر المتوسط شمالاً وتمتد حتى البحر الأحمر جنوباً مع اعتبار قناة السويس قوة استراتيجية دولية صديقة لنا، يمكن استخدامها دائماً لتكون سلاحاً رادعاً لتلك الدول إذا ما نبتت لديهم أفكار لمواجهةنا من خلال وحدة دولية بينهم أو حتى على الصعيد الفردي مع العمل على فصل تلك الدول المشرذمة ثقافياً وفكرياً حتى يصعب عليهم إيجاد نقطة التقاء أو تعاون مستقبلي، وسيكون ذلك مؤكداً بعد تنفيذ مخطط إسقاط السلطنة العثمانية وترك الحدود بين تلك الدول الباحثة عن استقلالها دون حلول مؤكدة حتى تكون دائماً الرماد المجهز للاشتعال وإلهاثهم

عن التقدم أو الخروج من تحت سيطرتنا بالإضافة لأنه سيتمّ التخلص من أكبر آفة لحقت بشعبونا مؤخراً وهي هجرة اليهود بكل ألوانهم وطوائفهم واندماجهم داخل مجتمعاتنا وسيطرتهم على أسواق المال وعالم الصناعة والتجارة مما يشكل تهديداً كاملاً لبلادنا إذا ما حاولوا الخروج على سيطرتنا، بينما وجودهم عائق بين تلك الدول سيعطينا الفرصة لأن نكون الحليف الوحيد لهم وبالتالي نضمن ولاءهم الكامل والدائم نحو إخضاع تلك الدول بصفة مستمرة.

فلنأخذ الأصوات على تلك النتائج والفعاليات أيها السادة.

تمت الموافقة على كامل النتائج وتمّ توقيع الاتفاقية السرية الاستعمارية بالأحرف الأولى وتمّ تسليم نسخة مكتوبة وموقعة لكل رئيس وزراء للعمل بها.

تسربت المعلومات إلى أجهزة المخابرات الألمانية الطامعة في دول شمال إفريقيا لزيادة رقعة الاستعمار الخاص بها وقد وردت معلومات مؤكدة باتفاقيات خاصة تمت بين مملكة بريطانيا العظمى وجمهورية فرنسا تنص على تمكين المملكة البريطانية من مملكة مصر والسودان وإعطاء مملكة المغرب للجمهورية الفرنسية، أرسلت ألمانيا أعضاء من مخابراتها إلى مملكة المغرب المحتلة لتؤجج الفتن والصراعات من ضغط الجيش الفرنسي واضطهادهم للشعب المغربي، فألمانيا لم تكن ترضى فقط بحسن علاقتها بالسلطان عبد الحميد الثاني وتداخلها

معها في علاقات اقتصادية موسعة بل كانت ترغب في اللحاق بجزء من كعكة البترول والموارد الطبيعية في شمال إفريقيا ولم تتراجع ألمانيا وتؤجل أطماعها إلا بدعوة الرئيس الأمريكي (تيودور روزفلت) لعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء في إسبانيا في السادس من ابريل لعام ١٩٠٦ م لكل الدول المتنافسة في أوروبا وعلى رأسهم الولايات المتحدة والذي تمّ التوقيع فيه على معاهدة تلزم كل الدول المشاركة على إعلان استقلال المغرب وتوفير قروض مالية كبيرة للسلطان عبد الحفيظ بن الحسن من خزينة كل من جمهورية فرنسا ومملكة إسبانيا مما جعل كلا الدولتين يرسلون أمناء على الخزينة العامة في مملكة المغرب ليبدأ فصلٌ جديد من التدخل في شئون السلطنة ويصل إلى مزيد من الأطماع والتناحر لتسقط المغرب فريسة للاحتلال بعد توقيع المعاهدة فقط بعام واحد، ولكن ذلك الحدث لم تبليه السلطة الحاكمة في إيطاليا فهي الأخرى ترى الكعكة توزع ولم تتل حظها بعد فبدأت في عقد اجتماعات سرية متواصلة مع فرنسا وبريطانيا وطالبت بحقها في احتلال ليبيا وهي أقرب دول الشمال الإفريقي لإيطاليا وترتبط بها بمصالح تجارية كبيرة تؤثر على رخاء الدولة ككل.

وتمّ عقد لقاء سري وخاص امتد لساعات فقط في روما بين مندوب رئيس وزراء بريطانيا العظمى ومندوب رئيس جمهورية فرنسا وتمّ الاتفاق على أنه بعد أن حصلت جمهورية فرنسا على مستعمراتها

الخاصة في الشمال الإفريقي لتضم موريتانيا والمغرب والجزائر وتونس وبعد أن حصلت مملكة بريطانيا العظمى على مملكة مصر والسودان وجنوب كردفان يجب علي إيطاليا أن تحصل على ليبيا بلا منازعة ويجب عليهم التأييد والحياد التام أمام المملكة العثمانية والتي ستحاول بشتى الطرق منع نزول الجيوش الإيطالية على سواحل ليبيا. وهنا تحدث مندوب رئيس وزراء بريطانيا العظمى السيد (جيمز ستانلي) قائلاً..

- نحن نوافق على ذلك ولكم منا كامل التأييد والحياد إذا ما تحركت المملكة العثمانية ولكن بشرط واحد..

- وما هو؟

- لقد وظفنا أموال وخبرات كبيرة وكثيرة على مدار سنوات لتفكيك المملكة العثمانية وأخذنا على عاتقنا أن نتحمل العواقب مجتمعةً كما أننا فقدنا الكثير من الجنود والمهمات والأسلحة في مناوشتنا معها حول مصر والشام والبحر الأحمر والخليج الفارسي

- سيدي، لقد كان ذلك بدافع مصالحكم الخاصة أمام توسعات ألمانيا.

- نعم وحفاظًا على قوى التوازن الاستراتيجي والعسكري في أوروبا مما أدى إلى فوزكم بالمستعمرات التي تحت أيديكم. ويجب عليكم أن تدعمونا أيضًا للسيطرة على جزيرة العرب والخليج الفارسي من أجل

مصالحكم الكاملة فكما ضمنا لكم شريان التجارة الرئيسي في قناة السويس سنضمن لكم كامل مصالحكم حول جزيرة العرب واليمن وكامل المحيط الهندي

- وما هو المطلوب سيدي ؟

- أن نكون حلفاء لمواجهة التغيرات السياسية التي ستنتج بمجرد الإعلان الرسمي عن سقوط المملكة العثمانية وتفكك الخلافة الإسلامية بلا رجعة فلنا خطة محكمة بدأنا في تنفيذها منذ سنة كاملة لمنع تكون أيديولوجيات دينية مسلمة أو عربية في منطقة الشرق الأوسط.

- ونحن نوافق ونرحب بهذا التحالف سيد جيمز وسنعمل على إيصال كامل الاتفاق إلى أصحاب القرار النافذ في دولتنا.

- ونحن أيضًا نوافق يا سيدي ونرحب بهذا التحالف فاختلفاتنا السياسية والتي احتمت منذ قرن لم تكن إلا وبالأعلى شعوبنا ويجب علينا نحن سياسة العالم وقادتها أن نقرر طريق يجمع مصالحنا ولا نحيد عنه أبدًا.

obeikan.com

(٦)

أَيُّهَا الْكَلْبُ؟

الاستقرار السياسي داخل الدول هو الدّعامَة الأساسيّة في انتشار الرخاء الاقتصادي والتمتّع بمعيشة هنيئة، ولذلك يجب العمل على تثبيت أسس الاستقرار السياسي البريطاني داخل أو خارج المملكة وفي نفس الوقت تفعيل المبدأ العكسي لدي أبناء المستعمرات لكي لا يتمكنوا من فهم مجريات الأحداث.

(منظومة العمل الأساسيّة لدى دول الاستعمار).

منتصف إبريل، عام ١٩٠٨ م

دقات أرجل الخيول تقعر وتستمر في متوالية منتظمة على أحجار مربعة بازلتية لونها يتدرج من الرمادي القاتم وحتى الأسود وتشكل أرضية شارع فلورال وحتى ساحة بيازا بمنطقة كوفنت جاردن، ثم تهدأ نقرات حوافر الخيول شيئاً فشيئاً حتى تتوقف تماماً ولم يعد لصوتها أي رنين أمام المحفل الماسوني البريطاني الأعظم بوسط لندن.

وقفت الخيول الملكية الطراز والشرائط الجلدية على رؤوسها وأجسامها تعلن أن تلك الخيول تقطر خلفها عربة من عربات أصحاب القرار في المملكة البريطانية، تلك الخيول التي لم تدرب فقط لقطر عربة خشبية لها أربع عجلات ومغطى زجاج شباييكها بستائر زرقاء اللون بل أيضاً دربت لتكون ملكية التفاعل مع كل شيء حولها فبعد أن وقفت في ثبات جنود حراسة الملكة وأسرتها الملكية والذين يتم انتقائهم من اعنى الجنود خلال التدريبات على أن يكون منبتهم ومنشأهم من أراضي اسكتلندا الوارفة بالشمس ونعومة الهواء ونقائه، كانت الخيول

هي الأخرى تستقدم من أصل اسكتلندي ويتمّ تدريبها منذ عمر ستة أشهر حتى تصبح قادرة على الخدمة الكاملة، يقترب كلب لونه ما بين الأبيض والأصفر ووبره طويل ويتمّوج في أشكال عشوائية دليل على انتشاره بين الشوارع المقفرة في لندن فلم يكن له صاحب أو مالك أو مربّي، يشتمّ رائحة الخيول التي قد عُني بها منذ يومين بغسول مياه يضاف إليه مسحوق من إكليل الجبل. وما أن اقترب من أرجل الحصان الأول ناحية الشمال وهو الحصان الأول في درجة قيادة العربة ككل والسائق يعوّل عليه دائماً لقيادة باقي الخيول الثلاثة وهذا الحصان قد تمّ تدريبه على حفظ الطرقات المسئول عن السير فيها ذهاباً وإياباً بالسير (بانرمان) رئيس وزراء المملكة البريطانية ولم يكن هذا فضل له أو عليه فتلك العربة هي عربة وزارية تخص مجلس الوزراء بشكل إداري، يستخدمها رئيس الوزراء بمجرد تقلده المسؤولية،

مجرد أن اقترب هذا الكلب الإنجليزي ربيب الشوارع والأزقة المظلمة بحثاً عن شيء أثاره إلا ووجدَ الرجل اليمنى للحصان القائد فوق رأسه. ضربه بقوة وخطفة فانتفض الكلب للخلف يعوي والدماء تسيل من رأسه وبين أذنيه الكبيرتين وما أن استفاق بعد أن تقلّب عدّة أمتار بعيداً عن العربة وأحصنتها، وقف ينظر بأسى على حاله وهو يتذكر هذا المهر عندما تربى معه منذ أربع سنوات في مزرعة السير ويليام دوق المقاطعة الثالثة في اسكتلندا عندما عطف عليه ووجده يعوي على

طريق فرعي قبالة مزرعته الخاصة أثناء نزهته المسائية.

انعكست أضواء المصاييح الزيتية القديمة بوهجها الأصفر المستمر على أعين الكلب وهو ينزوي بهدوء بعيداً، تلك الأضواء الخافتة التي دخلت بقاياها منعكسة على زجاج الغرفة الكبيرة بالطابق الثاني بمقر المحفل الماسوني البريطاني الأعظم، ومن خلف ذلك الزجاج كان يجلس السير (بانرمان) وقبالته السيد (جيمس أرماند دي روتشيلد) القائد الأعظم للمحفل وصديق السير

- دعوتكم يا سيدي لاتخاذ الرأي والمشورة في بدء التنفيذ الفعلي لما وصلنا إليه اليوم من اعدادات لإزاحة تلك المملكة الظالمة القائمة على أعمال القتل وإبادة الشعوب.

- لدي علم وتقارير دائمة تصلني يا سيد جيمس عن أحوال المملكة العثمانية وكم أنا منبهر من تفانيكم ودعمكم السخي لتنفيذ توصيتنا التي تصب في مصالح المملكة.

- يا سيدي أنا بريطاني المولد تعلمت ونشأت هنا وكل ولائي لصالح مملكتي التي أحيأ في نعيم تحضرها ورقياها

- إذا فليكن وسيتمّ تفعيل الأدوار التي رسمت على أرض الواقع. ولكن لي سؤال يشغلني!

- تفضل يا سيدي.

- لماذا تأخرتم في مد خطوط السكك الحديدية بالقطر المطلوب عسكرياً إلى حيفا حتى الآن ؟

- عفواً سيدي لم أتأخر عن أي شيء يصب في مصلحة مملكة صاحب الجلالة فكما تعرف هو في الأساس مصلحة وريح وفير لشركتي العامرة بوجودها داخل المملكة ولكن التأخير كان من توقيع عقود القرض اللازم لبدء العمل من قبل الخديوي عباس حلمي الثاني وخصوصاً بعد إعفاء اللورد كرومر من منصبه بمصر.

- لماذا لم يستكمل بموجب وثائق تدفعها مصر فيما بعد ؟

- لم يكن هذا متاح يا سيدي فالأوضاع السياسية في مصر في أوجها كما تعلم بالإضافة إلى أن فرع شركتنا العامل في مصر ما زال ينهي بعض الأعمال في شمال السودان.

- لماذا إذا الشركة المسؤولة عن عمل خط السكك الحديدية بالحجاز والذي أنشأه السلطان (عبد الحميد الثاني) تمّ تنفيذها قبل الموعد المقرر بستينين؟ كانت كل الترتيبات بناء على موعد افتتاح ذلك الخط من السكك الحديدية والذي كان من المقرر أن يفتح في عام ١٩١٠ وليس ١٩٠٨ م

- سير بانرمان يا سيدي، إن السلطان (عبد الحميد الثاني) اعتمد مبدأ التبرعات من كافة الأقطار الإسلامية تحت خلافته وعلى غير

المتوقع منه هو شخصياً تمّ جمع أموال غطت التكاليف بالإضافة أن مصر ساهمت بكثير من المواد الخام المطلوبة بلا ثمن فقد كانوا يجمعون من كل فرد خمسة قروش ومع عدد السكان المسلمين حول الأقطار الإسلامية كلها تمّ جمع مبالغ غير معروفة قيمتها لنا ولكنها كانت كفيّلة بسرعة الانتهاء منه كما أن الدعوة المعلنة يا سيدي كانت إنشاء خط سكك حديدية لربط الأرضي المقدسة في مكة والمدينة ببلاد الحجاز بباقي أقطار المملكة في الشام وحتى دمشق.

- هذا الخط إذا ما قام بمهامه كاملة سيقوّض مهمتنا العسكرية في الشام وسيمنعنا من إحكام السيطرة على جزيرة العرب، فهذا السلطان العنيد ليس غيباً فقد استخدم مشاعر المسلمين وقديسية رحلة الحج لديهم ليحكم السيطرة والاتصال بين الجيش الخامس في الشام والرابع في الحجاز وإذا ما تمّ ذلك ستكون له قوة ستطيل علينا خططنا وخصوصاً عملية إسقاط الخلافة وتسهيل تواجدنا على ساحل البحر الأبيض المتوسط

- إذا فلنباشر في تفعيل كل الخطوات التي تمّ الإعداد لها يا سيدي.

- نعم لا بد من إسقاط وتفكيك تلك المملكة في غضون عام وليس أقل فالأوضاع السياسية في مصر والسودان وأيضاً في جزيرة العرب واليمن أيضاً لا تُبَيّ بالاستقرار يجب علينا النفاذ بسرعة لإحكام السيطرة.

(٧)

العنكبوت

عندما يشد العطش ترى العين سَرَابًا على امتداد خطِّ الرؤية، وتسير
الأرجل نحو هذا السَّراب طمعًا في أن يكون حقيقيًا رغم اقتناع العقل
أنه سراب.

١٦ يناير عام ١٩٠٩ م، لندن

وصل المحامي اليهودي العثماني وعضو مجلس المبعوثان العثماني، عن سالونيك والأستاذ الأعظم لمحفل سالونيك الماسوني (عمانوئيل قره صو) إلى لندن للاجتماع داخل المحفل الماسوني البريطاني الأعظم بكل من النائب الأول لمحفل الشرق الأعظم الفرنسي الماسوني والنائب الأول للمحفل الماسوني الإيطالي، في غرفة الاجتماعات العامة والمخصصة للاجتماعات السنوية فقط بين النواب الأول من محافل العالم والتي تقع في الطابق الرابع جهة الشرق من مبني المحفل في ساحة بيازا العتيقة بوسط لندن .

تقلد النواب أماكنهم التدريجية والمقامية مرتدياً كلاً منهم عباءة التشريف والإخاء والترقي وعلى ضوء الشموع الثماني كما تنص الشعائر المقدسة، تمّ عقد الجلسة بحضور أمين السر وحافظ الجلسات ومضبطتها راعي الخير من المستوى السابع السيد (توماس

(دين)

"تبدأ وقائع الجلسة الأولى والمعدة من قبل الأساتذة العظماء أساتذة المحفل الماسوني البريطاني والإيطالي والفرنسي والتركي والاسكتلندي بحضور النواب بدرجة "الخير والراعي" على أن يضاء شموع النواب الأربعة للمحفل الإيطالي والفرنسي والعثماني تحت رعاية نائب المحفل البريطاني الأعظم وبإيعاز من كرامة وصلاحيات المحفل الاسكتلندي العظيم على أن يشهد ويلتزم دون إيعاز كل من نائب المحفل الأمريكي والمحفل الشامي لتزكية نتائج ووقائع الجلسة لتخضع لخدمة الإنسانية والبيئة كلها.

وفي نفس اللحظة ينطق كل النواب "نؤكد وملتزم ما حيننا".

بعد كل الجهد المتعوب عليه والمشروط بالتنفيذ الفعلي دون تراخي بالجلسة السابعة لعام ١٩٠٥ م بمقر المحفل الماسوني البريطاني الأعظم تمت ترقية أعضاء جدد انضموا إلى صفوفنا السامية وتم قبولهم ورسم شعائر انضمامهم وتأبيدهم الأفكار بإيعاز وطلب وخدمة الأستاذ العظيم (عمانوئيل قره صو) وعليه وجب أن نرصد النتائج الفعلية المنفذة على أرض الواقع من خلال البيان الكامل المقدم من عظمته وعليه نستمتع جميعاً لبيانه للتصديق عليه.

- الإخوة الأحرار باغين العدل وانتظام الحياة والموازين البيئية بين

بني البشر وباقي فصائل البيئة.

أُنعمت أمسيتكم بكل نور وضاء بالعلم، أما بعد...

إنه وبعد جهد وعمل دأبت عليه لمدة تخطت أربع سنوات متصلة بالتعاون مع أعضاء الأخوة في المحفل الماسوني الإيطالي والفرنسي والبريطاني، تمّ لي أن أصبح تحت أساتذتي في أراضي الخلافة العثمانية عدد ٥٦ محفلاً ماسونياً رسمياً ومقرّاً له أركانه وأعضاؤه، أحب أولاً أن أوضح، أن الغيظ الذي وصل لمسامعكم عن انشقاق بعض الأعضاء بأفكار جديدة هددت زمرة الكيان العظيم والحر إنما تلك الأفكار روجتها بنفسني لصاحب كل دعوة قبل إنشاء المحفل وقبل تعظيمه أستاذ محفل فرعي بناء على توجهات فكرية سائدة لديه.

فحن يهود الدونمة ورثة الأرض والأصل لنا في مواقع أقدامنا ما يجعلها تلتصق به ولا تتركه إلا إذا قُطعت بنصل سيف جائر وطامع، وكل أخوتنا من المنضمين إلى زمرتنا الحرة والعظيمة يؤمنون تماماً برقي ودستور البنائون الأحرار في رمزيتهم الكاملة والتاريخية منذ ألفي عام، وإنما بعض المتنورين وحاملي العلوم السياسية والطبيعية والعسكريين من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي رأوا أن لهم وجهة نظر مختلفة من ناحية الأهداف والمقررات وعليه فقد قمت بتشكيل فرع داخلي للبناء بين الأحرار تحت اسم الماسونية الملكية حتى أتمكن من ضمهم وفصلهم عن جموع الأعضاء المنضمين من كيانات مختلفة وتمّ لي ذلك بعد

أن أكرمهم ورفع درجات ترتيبهم مما كان له الأثر البالغ والمطلوب بانضمام فرق كثيرة ومتعددة من أفراد الجنود العسكرية والتي تخدم في مواقع الميدان في الجيش العثماني وكان أولهم الفرق الطبية والذين ساهموا معنا في توضيح رؤيتنا لهم إبان تلقيهم دراساتهم الخاصة حول محيط وكرامة محافظكم ثم استطعت بعدها ضمّ فرق أكثر عمقاً من ناحية قراءة التاريخ وفهم أبعاده من خلال استقطاب جماعة تركيا الفتاة و الطورانيين مما استلزم إنشاء محافل متعددة تخضع لسلطة ترقيتهم بدرجة أستاذ كتوم وأستاذ متعاون مما كان له الأثر البالغ في توسيع رقعة الانتشار والتأثر الكامل على فرق انفصالية في صفوف الجيش العثماني وتمت تجربة تلك التأثيرات على أرض الواقع كما تعلمون في الأناضول بمحاولة الانشقاق الجزئي وكان ذلك المؤشر هو شرارة البداية لعقد الاجتماع الكلي في المحفل العثماني الأعظم والاتفاق بتأكيد وإيعاز كامل الأساتذة على ترقية السيد (طلعت بك) إلى درجة الأستاذ الراعي استعداداً لترقيته الكاملة بدرجة أستاذ عظيم للمحفل الماسوني العثماني ككل إذا ما نجحت حركة التوافق والتجميع الكلية لكل من يهود الدونمة و الطورانيين وتركيا الفتاة وعلى رأسهم جمعية الاتحاد والترقي والتي أصبحت الآن هي الفرع الماسوني المؤهل كلية للخروج عسكرياً بانقلاب كلي على السلطان عبد الحميد الثاني واستخلافه أو نفيه وسيتمّ العمل بالدستور المزمع العمل به منذ

خمسة عشر عامًا بحثًا عن حرية ورقية كامل الأعراق ورفع يد الاستبداد عنهم والتي تمثلت عقودًا طويلة في الدماء التي سالت على يد السلطان الأحمر عبد الحميد الثاني. وعليه...

فاطلب الإيعاز الكامل منكم والتأكيد على المضي فعلا بعد تحديد موعدًا محددًا لتنفيذ خطوة رفع السلطان عبد الحميد الثاني عن المملكة وإنارة شعلة الحرية والعدل.

- نشكركم بكامل النور السامي أيها الأستاذ العظيم ونطلب قبل الإقرار بالتنفيذ أن توضح لنا أسماء الأعضاء المترتب عليهم القيام بالتنفيذ؟

- إنهم كما هو مذكور في ملحقات التقرير كالتالي: طلعت بك، فايق بك، فتحي بك، والأمير عزيز حسن من (المسلمين)، عمانوئيل قره صو، فارجي أفندي، كوهين أفندي، يوسف أفندي سكاكيني من (اليهود)، سارييم كيبار، جاويد بك، محمد طلعت من (الدونمة)

- إذا، هل لديكم خطة معينة للقيام بالأمر طبقاً لما تم ترتيبه مسبقاً من دعم المحافل العظيمة في جنوب وشرق المملكة العثمانية؟

- يا راعي لخير توماس دين، إن الخطة المحكمة التي وُضعت وتم تنفيذها بدقة بالغة نابعة من خلال سخائكم عليها في مناطق الأرمن واليونانيين والصرب أتت ثمارها الآن ويجب قطفها سريعاً قبل أن تسقط ولا نعرف إلى أي اتجاه قد تذهب، فالمذابح التي ابتدعت

والأجساد التي ضحينا بها من أجل رُقي الإنسان لن تذهب سُدىً، فالיום وطبقاً للتقارير التي بين أيديكم العظيمة والمقدّمة من محفلي النور بأنقرة والآستانة، تؤكّد أن الحراك السياسي في جنوب وشرق المملكة العثمانية، أصبح على أوجّه وينتظر فقط أن يثقب النور رداء الأيام كي تثور وتتطلق نحو الحرية المرغوبة، وقد تمّ الترتيب مع كل الطوائف من خلال محافظنا العظيمة استعداد لتلك اللحظة وقد نظمت خطة محكمة مع طلعت بك و جاويد بك يتمّ تطبيقها يوم العاشر من ابريل لعام ١٩٠٩ م، بخروج كل أعضاءنا و ذويهم للشوارع في كل من سالونيك و مناستر و أسكوب وسوسن وبعض المدن الأخرى وهي المدن المركزية لينتشر منها وباء الثورة والرفض مطالبين بإعمال الدستور المعطل وتقويض صلاحيات السلطان المطلقة والمستبدة علي أن يكون الشعار الرسمي والمعلن بين الجماهير هو (حرية، عدالة، مساواة) وبعدها يتمّ العمل على جمع مجلس الأعيان والذي ينضم ما يقرب من ثلثيه إلى أعضاء أخويتنا السّامية لخلع السلطان بلا رجعة .

- إنها خطة رائعة، أيها الأساتذة العظماء، هل لديكم أية تعليقات، أم نؤكّد على الأستاذ العظيم (عما نوثيل قره صو) خطته ؟

- بل نؤكّد جميعاً على خطته وندعمه بموافقتنا الكاملة ويجب العمل على إعلان دعم محفلنا العظيم لكامل الشعب العثماني على التحرر من قبضة الاستبداد الإسلامي وخلافته وسلطانة .

- نعم، هذه أهم الأولويات على جدولنا، دمتّم مخلصين ومنتورين بفيض الكرم والعظمة المجيدة .

- تستطيع الآن أن تنزل الدرج أيها الأستاذ العظيم وأن تتابع خطوات الإجراءات والدعم المطلوب مع راعي الخير السيد (توماس دين) .

توجه (عمانوئيل قرّة صو) إلى مكتب المتابعة بالطابق الثاني ويصعبه السيد (توماس دين) بعد أن خلعا عباءتهم الحمراء بشرائطها الفضية. جلس السيد (توماس دين) خلف مكتبه بعد أن أزاح الكرسي قليلاً حتى يجد متسعاً يدخل منه إلى الجلوس عليه أمام مكتبه الخاص، فضخامة بطنه وخصره لم تكن تعطيه إمكانية للجلوس بسهولة. أشعل البايب ونفث دخانه مستمتّعاً بكل نفثة فيه ثمّ نظر بهدوء إلى الأستاذ الأعظم (عمانوئيل قرّة صو) .

- الآن أريد جدول الأعمال محسوباً باليوم، وبالليرة العثمانية الذهبية - هذا هو الجدول، يمتد العمل به لمدة شهرين كاملين على أن نعدّ جدولاً آخر لاحق له، بمجرد الاستقرار بعد نجاح المبتغى، وخلع السلطان عبد الحميد الثاني

- إذا سيتمّ إيصال الأموال كما هو مقرراً وطبقاً لجدولكم عن طريق نفس الرسل كما تعودت منا وأي تغيير يطرأ يرجى إعلامي به فور حدوثه

- لك ذلك سيد توماس، شكراً لحسن ضيافتكم

(٨)

لورانس

(طمع إنسان واحد ربما يقضي على أمة بأكملها، وطمع ملك متوَج
ربما يقتل ملايين البشر).

١٥ يونيو، عام ١٩٠٩م

على ظهر سفينة الشحن التجارية المنغولية القادمة من بحر النرويج؛
مرورا بمملكة بريطانيا العظمى، ومتجهة للشرق مروراً بمضيق جبل
طارق. كان يقف (توماس إدوارد لورنس) الطالب بجامعة أكسفورد،
متنسماً لرائحة البحر الأبيض المتوسط والتي تهبّ من الشواطئ
العربية والمُعَبَّئة بعبق الحضارة والتاريخ، ممسكاً بأوراق صفراء
اللون وقلم من الفحم، يرسم مخططات لقلاع صليبية لطالما شغلته
كثيراً، وجاء بحثاً من موطنه بمملكة بريطانيا العظمى؛ لدراسة الآثار
التاريخية في حوض المشرق العربي والشمال الإفريقي، لتعلقه الكامل
منذ الصغر بدراسة الآثار والحفريات.

رست السفينة الضخمة؛ لتفرغ حمولات تجارية على شواطئ بيروت
في مرفأ (رأس المدور)، نزل الشاب الجامعي يرتدى بذلته السوداء
بأقلامها الرفيعة من اللون الأبيض من الصوف الإنجليزي ذو الغزل

الدقيق، ويرتدى رابطة العنق من نفس اللون من السُّتان اللامع، يهذب شعره الأشقر بيده، وينظر حوله وهو يتوسط كتل التجار والمسافرين وهم يجاورونه على مهبط خشبي عريض من ألواح سميكة من خشب السنديان الأحمر، يحمل في يده حقيبة جلدية واحدة، لونها بني، تحمل كل حاجياته من ملابس وأوراق وأقلام وباقي متعلقاته الشخصية.

لم يجد صعوبة في أن يسأل عن وجهته، بعد أن درس اللغة العربية لمدة فصل كامل، عندما انتوى زيارة المشرق العربي، وبعد أن حصل على موافقة أستاذه (هيو جارت) بالقيام بتلك الرحلة وإعداد بحثاً كاملاً عن الآثار في المشرق العربي؛ طلب من إدارة كليته (الكلية الياسوعية بجامعة أكسفورد)؛ أن تمّده بكتاب يساعده في بحثه الميداني الكبير.

لم تتوان إدارة الكلية عن الاتصال بمراكز الاتصال الثقافي بسفارة المملكة البريطانية بالآستانة، وتمّ إعداد تصريح رسمي من وزارة الخارجية العثمانية وتوفير دليل بحثي تاريخي باللغة العربية.

كان يحمل الكتاب والتصريح والأموال التي بحوزته في حقيبة صغيرة من الجلد الأسود مربوطة بحزامين ويعلقها على كتفه.

جلس في مكتب المفوض الإنجليزي في ميناء بيروت، يخبره برحلته ويطلب منه مساعدته في البدء، وبعد ما يقرب من ساعة، كان قد احتسى فيها كوبيين من القهوة العربية لاذعة المرارة، دخل رجل شامي

ممتلئ الجثة، وله لحية كبيرة ووجهه يكاد تقفز الدماء من وجنتيه من فرط ضخامتهما، ضحك كثيراً عندما وجد هذا الشاب القصير والنحيل يتحدث اللغة العربية بطلاقة تقرب من لغة السكان الأصليين في الشام.

وبعد جلسة طويلة شرح فيها (توماس إدوارد لورنس) طريقة تتبعه للأثار، وإنه أعد خطة للبدء من (صيدا) وحتى (البحر الميت). فوفر له (أبو منصور) مرشداً سياحياً عارفاً بأمور الطرق في شمال الشام.

(سليم أحمد الدهوم)، شاب لم يبلغ الثامنة عشرة من العمر، ويمتاز بالقصر ويحمل خنجراً ويعرف كيف يستخدمه، هذا الشاب كان يعمل لدى (أبو منصور) منذ صغره، فقد احتضنه وأواه بعد أن قُتلت كامل أسرته من قبل إغارة قبيلة الحويطات على الطرق الفرعية في صحراء سوريا الكبرى.

وما أن رآه (لورنس)؛ أعجبه وتمسك به دليلاً ومؤنساً لوحده في بحثه الأثري الكبير المسمّى (الضن المعماري الحربي عند الصليبيين في الشرق)، وبدأت رحلته، من مدينة صيدا على ساحل البحر الأبيض المتوسط ثم مرّ بمدينة النبطية وزار قلعة (الشقيف) في أطراف المدينة أعلى ثغور الجبل، ونزل متوجهاً نحو الغور، ومرّ بتجمعات

متفرقة لأسر بسيطة تستقرّ في الأغوار، وتقيم بها وتزرع الخضروات،
أكل من إنتاج أراضيهم وبات ليليه في بيوتهم البسيطة من الطمي
والصلد الحجري، ثم توجه لشواطئ البحر الميت، ونزل في فندق
صغير كان حديث العهد في تقديم الخدمة وذو ثلاثة طوابق فقط، وفي
الغرفة رقم سبع عشرة في الطابق الثاني بفندق (الصباح)، استلقى
على السرير البسيط ناظرًا للسقف ومحددًا يرى نفسه قد طاف مدن
وبلاد (الهلال الخصيب) كلها.

- ترى يا (تي): هل ستستطيع أن تجوب كل تلك المساحة ؟ وتحقق
حلمك الأكبر في رسم خريطة تفصيلية وكاملة سياسية وجغرافية
بثروات تلك البلاد التي جابها نوح وتركها لابنه سام ليسكن فيها
وتستمر من بعده ذريته ؟! ترى؛ هل تستطيع أن تضع قدمك في موضع
مرّ عليه أباطرة وحكام وملوك وأنبياء فاق عددهم العشرة آلاف نبي ؟
ماذا يوجد في تلك الأرض ؟ لماذا بقيت على مرّ الأزمان تحافظ على
شكلها وعمقها التاريخي ؟ لماذا تلهث كل الممالك والإمبراطوريات
في زماننا هذا إلى السيطرة عليها ؟ لأنّ الإنسان في العصر الحجري
عاش هنا ! لماذا كان هنا السومريون والبابليون والآشوريون ؟ لماذا
تحارب الفينيقيون هنا ومن بعدهم الكلدانيون ؟ لماذا أسالوا دماءهم
هنا ؟ أستحق تلك الأرض كل هذا ؟ إن البروفسور (جيمس هنري
برستيد) لم يوضح في أطروحته التي درستها الأسباب ؟ لقد القي إلي

بالشغف وتركني أسعى !.

نفث (لورنس) هواءً دافئاً من فمه؛ ينم عن المعضلة التي تشغل عقله، واعتدل على جانبه الأيمن وتمدد في تراخي من إرهاق أيام قطعها سيراً على الأقدام، وقعت عيناه الخضراوان الزائغتان دائماً، على شغفه القاتل ومتعته الخاصة، وجالت الذكريات في مخيلته وهو ينظر بثبات بجوار السرير "عادت عائلة (لورنس) من فرنسا واستقرت في منطقة أكسفورد الراقية، وارتاد مدرسة تمهيدية كاثوليكية لأن مربيته كانت قد لقنته وإخوته تعليمه الأول، وهو لم يكد يبلغ السادسة، وكانت أمه حثيثة الرغبة دائماً على تعليم أبنائها في مدارس كاثوليكية، واعتادت أن تصحبهم جميعاً إلى الكنيسة كل يوم أحد، وعلى الرغم من أنها أنجبت خمسة أبناء من (إدوار لورنس) وهي لم تكن زوجته، وعلاقتهم استمرت دون زواج رسمي، إلا أنها رغبت تماماً في تعليم أبنائها تعليماً كاثوليكيًا، فهي الآن لم تعد الخادمة لدى سيدها، بل أم أبنائه، ويجب عليها فرض إرادتها، ولكن (توماس) الابن الثاني، والذي ولد ضعيف البنيان الجسدي، لم يكن يعرف؛ أنه سيواجه موجات من القهر النفسي في مدرسته التمهيدية بأكسفورد بسبب علاقة أبيه بأمه، فالليدي (تشابمان) زوجة أبيه الأرستقراطية المتسلطة بغناها وأصولها العائلية الراقية؛ لم تغفر أبداً لـ (إدوارد لورنس)، أن طلقها وتركها من أجل سارة الخادمة الفقيرة الفلاحة من رعايا اسكتلندا. وقد ذهب (إدوارد

لورنس) للإقامة في باريس مع عشيقته سارة، وأنجب منها طفلين (بوب و توماس)، ثم عاد مرة أخرى للإقامة في أكسفورد بمجرد أن هدأت الأجواء العائلية حول علاقته الغير شرعية. ولكن الليدي (تشابمان) لم تهدأ النار في صدرها، ومارست ضغوطًا كبيرة على بعض الأثرياء، لفصل أبناء (إدوارد لورنس) من المدرسة مدعية أنه لا يليق، أن يكون جنبا إلى جنب مع أبناء الطبقة الأرستقراطية الراقية أبناء غير شرعيين. ولم تستطع فصلهم لأن (إدوارد) كان من طبقة الأثرياء والبريطانيين ذوي الأصول القديمة، ولكن سرعان ما انتشر الخبر بين تلاميذ المدرسة، وابتعدوا عن (بوب وتوماس)، فخلف ذلك أثرًا نفسيًا كبيرًا كانت نتيجته، أن انزوى توماس على نفسه، وتولدت لديه رغبة كره في العلاقة الجنسية بين الشاب وحبيبته، والتي تنشأ لدى كل المراهقين ويبحثون دائمًا عن التجريب، ولم يعد لديه انجذاب جنسي نحو الجنس الآخر، خوفًا من أن ينجب أبناءً ويكرهون هم الآخرون، وعلى النقيض تولدت مشاعر قاسية بأن يقهر الجنس الذكري، فأحب أن يكون مثلي الجنس، يستمتع بقهر الرجال ويتلذذ ويمتلئ زهوًا كلما مارس ذلك مع أحدهم، وجد ضالته عندما انزوى بعيدًا عن زملائه في مدرسة أكسفورد الثانوية ولم يشاركهم اهتمامهم بأي رياضة مهما كانت ولم يهتم سوى بالانعزال في القراءة والرسم، حتى تعرّف على (واطسون) المهتم بدراسة فنون النحت والرسم وبعد

عدة أيام تكشف الاهتمامات ونشأت بينهم أفكار متناسبة ومتوائمة في الفكر الخاص بالإنسان.

كانا يقتنعان أنهم لا ينافسان أحداً على أي شيء فهم أعلى وأرقى من منافسة القرناء على أي شيء وما يريدونه سيفعلونه بما في ذلك التلذذ بشعور الغريزة الجنسية والتي كانوا يفضونها سويًا لبعضهم فقط وفي الأجازة الصيفية قبل الالتحاق بالجامعة ذهب مع صديقه (واطسون) إلى غرب أكسفورد في الريف لحضور حفل شبابي صاخب، هناك اكتشف أنه ليس فريداً فيما يفكر، بل هناك الكثيرون مثله.

هذا الحفل الذي كان يضم اثنان وثلاثين زوجاً من الشباب تتفاوت أعمارهم من الرابعة عشر وحتى الثالثة والعشرين، جميعهم يرون المتعة في المثلية وبعضهم ثنائي الانجذاب الجنسي وثنائي كالثور عندما يتحرر من القيود.

أشعل لفافة تبغ وهو يعتدل في جلوسه على السرير، وعيناه ثابتتان على مؤخرة (سليم) مرشده وخادمه، وتخيل في عقله اللذة، ثم تحرك بهدوء وتمدد خلفه على الأرض، فوجده خانعاً وصامتاً، اكتملت سعادته وشغفه الخاص، بوجود توأم يسعد أيامه ولحظاته.

لم يكن يعرف (توماس) أن (أبو منصور الحلبي)، قد أشار له المفوض (ستيفنسون) المشرف الإنجليزي بالميناء، عن أنه يحمل أهواء نحو

جنس الرجال، وقد وقع اختيار (أبو منصور) على (سليم) بناء على ذلك.

ظل يومين في فندق (الصباح)، يستمتع بالراحة والمتعة، ويسجل تدويناً في أوراقه عن ملاحظاته، والتي سيدرجها في بحثه حول العمارة الصليبية في الشرق.

وبعدها أكمل المسيرة على الأرجل هو وخادمه (سليم)، كانا يقضيان النهار في المسير، وعندما يقترب الظلام، يطرقان الأبواب أينما وجداها، فتنقلبهم الأسر البدوية بحسن الضيافة، وقدموا لهم الطعام والشراب والأسرة الدافئة.

وبعد أيام وصل إلى مدينة طرابلس العتيقة، بقلاعها وآثارها وتاريخها الضارب في جنبات الزمن. وهناك استقر في المدرسة الأمريكية التبشيرية، وتعمق أكثر في دراسة اللغة العربية وبعض آيات القرآن الكريم، واطّلع على الرسائل التبشيرية المسيحية، وأعجبه طريقة عمل المدرسة، وأثنى عليهم وظل قابلاً داخلها ما يقرب أسبوعاً كاملاً، وبعدها انطلق شمالاً حتى وصل إلى وادي النصارى، وصعد إلى قلعة الحصن في مدينة حمص السورية، وقبع داخلها ثلاثة أيام يدرس كل مناحيها المعمارية. وأنهى بحثه الكامل في مسودة أوراق ضخمة تخطت المائتي ورقة مكتوبة، بخلاف الرسوم التوضيحية. ثم توجه إلى بيروت بعد أن هاجمته موجة الهزال والضعف، نتيجة التعلق الجنسي

بخادمه ولقطة ووفرة المال معه. وفي أول سبتمبر كان مزهواً برحلته، وهو يقدم بحثه الكبير إلى يد أستاذه (هيو جارت) في مكتبه الخاص بمقر جامعة أكسفورد.

وفي خلال ستة أشهر تقدم إلى الاختبارات العلمية لنيل درجة البكالوريوس في العلوم وحصل عليه بتقدير ممتاز وسط الإشادة من أستاذه الكبير.

وصل التقرير عن نتائج المتفوقين علمياً إلى يد الجنرال (جيمز ستانلي) رئيس جهاز المخابرات للمملكة البريطانية العظمى ودول الكومنولث وويلز واسكتلندا، فلقت نظره جملة من كلمتين كتبت أمام اسم (توماس إدوارد لورانس) بكالوريوس العلوم بتقدير ممتاز في علوم الآثار.. تجارب ميدانية، بحثه الميداني في فن المعمار الصليبي في الشرق في منطقة (الهلال الخصيب).

بينما يركب (لورنس) دراجته النارية، وينطلق بأقصى سرعة ممكنة في طريق فرعي بين الحقول في غرب مدينة أكسفورد، وجد سيارة سوداء تسيير خلفه وتلاحقه، استمر في انطلاقه محاولاً الفرار منها، ولكنه لم يتمكن من ذلك، فلم يجد أي طريق ضيق ربما ينزوي فيه ويتخلص من تلك السيارة، وعند منعطف حاد في الاتجاه الشرقي، حاول أن يلوذ بالفرار إلا أن التربة الهشة لم تتحمل سرعة دوران إطار دراجته، وسقط على الأرض بالقرب من دراجته يتأوه من الألم بعد

أن سحلت ذراعاه اليسرى، وهو يقفز قبل أن تسحبه الدراجة معها
فيصطدم بأجمة من الأشجار على حدود الطريق.

وجد سيد نبيل يرتدي معطف أسود أنيق وقفازات جلدية في يديه وقبعة
متوسطة الحجم لونها أسود يمد له يده ويساعده على الوقوف قائلاً:

- هل جرحت يا سيد (لورانس)

- على ما يبدو ذراعي أدميت عند احتكاكها بالأرض

- لا تقلق لدي طبيب يعالجها لك في دقائق، اركب معي السيارة

- شكراً لك، ولكن من أنت ؟ ولماذا كنت تطاردني ؟

- أنا (هاري بلومز) ولم أكن أطارذك فهذا طريقي وأنا معتاد على
السرعة فوقتي مشغول دائماً.

وجد (لورنس نفسه) ينزل من السيارة أمام بوابة قصر صغير من
الطراز الأوروبي العتيق السكسونية الأصلية، ويحدّه من كل اتجاه
مساحات كبيرة من الزراعات

- هذا قصرك ؟

- نعم، فلتدخل معي ليعالجك طبيبي فهو صديقي وينتظرنى هنا.

- لا بل سأبقى هنا، فلا أصدقك !

- كيفما تشأ وسأرسل لك الطبيب

جلس لورنس على كرسي خشبي طويل فوَّقه صفت أخشاب مستطيلة
وتدلَّت من فوقها أغصان العنب الأحمر الكبير. وما زال يتأوه كلما
تحركت ذراعه وأحس بأنها التصقت بقماش قميصه الحريري الأبيض.
- لا تحركها حتى أظهرها لك.

- من أنت ؟

- أنا الطبيب (لوك) الطبيب الخاص وصديق السيد (هاري)

احضر الطبيب معه زجاجة يميل لونها للاحمرار وبها أثير، ثم بلل ذراع
(لورنس) بهدوء حتى أحس أن ذراعه انفصلت عن قماش كم قميصه.

- فلتدخل معي لإكمال تطهير ذراعك والاطمئنان عليه

- لا مانع، ولكن من هو السيد هاري ؟

- ستعرف كل شيء ولكن فلنضمِّد لك جرحك أولاً

(٩)

المعول الأول

إذا أردت أن تهدم بيتاً، فيجب عليك أن تخلع بابه الرئيسي أولاً.

لم يدم عمر السير (بانرمان) ليشهد نجاح الجزء الأول من المخطط الاستعماري السري وهو تفكيك آخر خلافة إسلامية وآخر مملكة عربية في وجه التفوق والأحلام الأوروبية للسيطرة على الشمال الإفريقي والشرق الأوسط الزاخر بثرواته وموارده، وتسلمَّ بعده مهام رئيس وزراء مملكة بريطانيا العظمى السيد (هربرت هنري أسكويث) رئيس حزب الأحرار والسياسي الشهير.

وكان من أوائل الملفات التي وضعت أمامه من خلال نائبه الأول (إدوارد وردن) ملف المؤتمر الاستعماري السري.

- هل يمكنك تلخيص ما في هذا الملف يا سيد إدوارد ؟
- نعم يا سيدي بالفعل وكما هو معمولٌ به وضعت لكم ملخصًا بسيطًا مكتوبًا في خمس ورقات فقط .

- شكرًا إدوارد

أطلع السيد (هربرت هنري أسكويث) على ما في الملف وذهل من كم البيانات والمعلومات التي وجدها أمامه تفسر الكثير من الاتجاهات السياسية التي شهدها خلال السنوات السابقة ثم ضغط على زر صغير بحافة المكتب،

- أوامركم سيدي ؟

- أرسل لي السيد (إدوارد وردن)

وبينما يقبل للمرة الثالثة في الأوراق متفحصاً الأرقام والتواريخ والميزانيات دخل عليه (إدوارد وردن)

- هل تلك الاتفاقية لها نسخة أخرى في أي مكان ؟

- لا يا سيدي ولا يعلم بها رسمياً إلا أنا بصفتي نائب رئيس الحزب والمفوض الأول ومقرر اللجنة بشكل رسمي حين انعقادها وأيضاً السيد جيمز ستانلي المفوض الأمني الأول في المملكة

- نعم، أريدك أن ترسل فوراً في طلب عقد لقاء قصير وسري مع مندوبي الدول الموقعة بالأحرف الأولى هنا

- علم وينفذ يا سيدي.

وفي وسط لندن في مقر مجلس الوزراء تمَّ عقد لقاء قصير تخللته وليمة غداء أعدت مخصوصاً لهذا اليوم وتمَّ التأكيد على كل البنود

والالتزام بها ولكن مندوب إيطاليا وهو رئيس عام المخبرات طلب التأكيد من الحضور على طلب إيطاليا والذي تمّ الاتفاق عليه مسبقاً بالحياد الكامل حينما تحصل إيطاليا على ليبيا بقواتها العسكرية مع عدم المساس بمكتسبات بريطانيا وفرنسا في شمال أفريقيا.

شهدت مدن سالونيك ومانستر وأسكوب وسوسن مظاهرات حاشدة خرجت فيه الجماهير مناديةً بتنفيذ الدستور والعمل به مع تنفيذ باقي بنود المشروطية برفع كل الظلم والمساواة بين كل الأعراق على أرض المملكة العثمانية، واستمرت الجماهير تتجمع وهي ترفع اللافتات الكبيرة وتنادي بما أوتيت من هواء الحناجر (حرية، عدالة، مساواة) لم تستطع القوات النظامية القليلة أن تسيطر على الوضع بل كان من بين صفوفها الكثيرون ينتمون إلى تلك الفصائل، أحسّ السلطان عبد الحميد الثاني بحبل الخيانة يلتف حول رقبته، لم تستجب فيالق الجيش المرابط قريباً من المدن الثائرة بناء على طلبه لقمع تلك التظاهرات الملوثة بأفكار من خونة مريديين إسقاط الخلافة ككل مدعين أنهم يبحثون عن حرية الشعب العثماني على أرضه.

مرت أربعة عشر يوماً والتهافتات تتزايد وتتأثر هنا وهناك فاستشار السلطان الصدر الأعظم (كامل باشا) والمقربين من قصره وخصوصاً زعماء العشائر السلطانية. فوجد أن كل التقارير تنبئ بأنها ثورة وخرج عليه من كامل طوائف الشعب وقوات الجيوش معظم

قادتها الخبراء والذين يأتُمَر بأوامرهم الجنود قد وقفوا جوار الثورة وأيدوها، ويجب عليه الرضوخ لمطالبها، ولكنه رفض ذلك وتمسك بصلاحياته الكاملة كسلطان على كامل المملكة العثمانية في الثلاث قارات وفي الرابع والعشرين من إبريل لعام ١٩٠٩ م وافق السلطان عبد الحميد الثاني بإقرار البرلمان ورجوع العمل بالدستور تحت تهديد قوات مسلحة تتبع قوات جمعية الاتحاد والترقي.

زاد فجور قوات جمعية الاتحاد والترقي وجمعت مجلس الأعيان وهم يتحكمون في أغلبيته فمعظمهم ينتمى للمحفل الماسوني العثماني الأعظم، وتمَّ إقرار حزمة كاملة من القرارات تضيق صلاحيات السلطان عبد الحميد الثاني وتطلق أيديهم في التحكم في الجيش والحكم الدستوري والعرفي وتمَّ فرض حظر تجول كامل وانتشرت موجات من الاغتيالات في الأزقة والحواري .

استفاقت الجماهير المخدوعة في شكل الدعوة وشعارها الرنان ومالت نحو سلطانهم وطالبت بعودته مطلق الصلاحيات فلم يكن من يهود الدونمة إلا الترتيب مع قادة جمعية الاتحاد والترقي، وافتعال ثورة مضادة في الآستانة ضد حكم الاتحاديين وضد شعارهم (حرية، عدالة، مساواة) وعندما أصدر الصدر الأعظم (كامل باشا) قرارًا بإعادة الأربعة أفواج العسكرية التي أرسلت من سالونيك إلى الآستانة لقمع العصيان. خالفه (رسمي بك) اليهودي الماسوني قائد تلك

الأفواج ولم ينفذ الأمر العسكري واستمر في الزحف على الآستانة وتمت عمليات قتل موسعة ودون وازع وتم حرق المصاحف ورفعها على أسنة الأسلحة ليتم توريث قوات ورجال السلطان عبد الحميد الثاني في عمليات القتل وكانت تلك الذريعة المناسبة لإنزاله وخلعه من حكم المملكة العثمانية ووجهت جمعية الاتحاد والترقي بموافقة مجلس الأعيان تهماً: تدبير حادث ٢١ مارس بالآستانة، إحراق المصاحف، الإسراف، الظلم وسفك الدماء وترتب على ذلك أن ضغطت على مفتي الإسلام الشيخ (محمد ضياء الدين) بإصدار فتوى بجواز خلعه وإنزاله عن العرش السلطاني. وتم تنفيذ الأمر بالقوة والسلاح ونفي السلطان عبد الحميد الثاني إلى (قصر الأتيني) والمملوك لتاجر من أثرياء اليهود، بعد أن تم تجريده من كامل ثروته وممتلكاته وتم وضع القصر تحت حراسة مشددة من قوات الاتحاديين حتى يبيت نهائياً في أمره ، وتم استخلافه بأخيه السلطان (محمد رشاد خان الخامس) وفرض عليه اختيار الصدر الأعظم من رجالهم وتم العمل بالدستور وعمل الانتخابات النيابية وفاز الاتحاديون بكل فصائلهم المسلمة واليهودية والدونمة في الانتخابات ويرجع ذلك لإحكام قبضتهم حول أقاليم المملكة العثمانية واستصدار صحف تشيد بهم كما أنه تم إنشاء جهاز أمني يتبع للقيادة مهمته إسكات الألسن وتكميم الأفواه المعارضة لهم .

(١٠)

الهلال الخصيب

إنّ الضباع القميئة، بألوانها الوضيعة، وشكل هياكلها العظمية، والتي تدعوا للاشمئزاز، لا تألوا جهدا من الاختباء والدوران حول فريستها، ثم تنتهز فرصة سانحة وتتقضم مجتمعة بكامل فصيلتها، وتقطع أوصال تلك الفريسة حتى تستسلم تماما، ولا تتركها إلا وكل عظمة من عظامها في فم صغير من أبنائها النهمين لالتهام كل ما يصل إلى أنيابهم.

دخل لورنس إلى صالة الاستقبال الرئيسية خلف باب القصر الصغير فوجد شخصًا ما يجلس على كرسي يتمايل به للأمام والخلف وأمامه يجلس (هاري) وبعد أن طهرَّ الطبيب (لوك) له الجرح ووضع عليه ضمادة قطنية معقمة وبينما يحاول أن يعيد هندام ملابسه وجد صوت من خلفه يقول:

- ماذا أعجبك في الهلال الخصيب؟

- كل ما فيه أعجبني؛ أعجبتني الحضارة والتاريخ وعمق الآثار الرابضة بشموخ حتى اليوم من مئات السنين

- ألم يعجبك البشر القاطنون هناك؟

- نعم بالفعل، كل ما وصل إلى أسماعنا واحتكاكنا هنا بالطلاب الوافدين إلينا من تلك الدول هم أبناء طبقة معينة لا تتغير هي طبقة الأغنياء وأصحاب النفوذ بينما الشعب نفسه والذي يشكل وحدة تألف

مع الطبيعة التي يعيش فيها يسكن في الأودية والصحراء والقرى المتناثرة بعيداً عن مراكز التسوق والالتقاء الحضاري.

- أليست صداقتهم ممتعة؟

وقف (لورنس) وتوجه نحو صاحب الصوت ثم وقف خلفه صامتاً ومنتظراً أن يقول هذا الشخص أي شيء كما وجه نظراته المريبة والمتوجسة نحو (هاري) الذي اقتاده بسيارته إلى هنا.

- لا تقلق يا (تي) أنا (جيمز ستانلي) رئيس جهاز الاستخبارات البريطاني الملكي (ميم ستة عشر)، هلا عالجت ذراعه يا (لوك)!

- نعم يا سيدي، على أفضل حال.

- إذا، فلنتذهب لتكمل ما كنت تفعله وأخبرهم أن يجهزوا غداءً جيداً بعد ساعتين.

- علم وينفذ جنرال.

ثم أشار (جيمز) بيده نحو الباب لـ (لورانس) في أمر بأن يخرجوا سوياً، وعندما وصلا إلى منتصف ممشى ضيق خلف القصر يتوسط المساحات الكبيرة من الكرم، وجدا جلسة رائعة تحفها فخاريات خزفية تزدهر أعلى حوافها زهور وورود مختلفة الألوان.

- كان يجب أن نحضرك للحوار بتلك الطريقة حتى لا يكون هناك قدر

بسيط جداً من التفكير في مخيلتك حتى أستطيع الحكم عليك، فلدي تقارير حول حياتك العائلية والخاصة وحتى في المدرسة والجامعة وحتى عن رحلتك في أرض الشام والتي أسميتها في بحثك (الهلال الخصب)!

- بل أسماها البروفسور (جيمس هنري بريستد).

- نعم نعم في أطروحته التي درستها في السنة الأولى من التحاقك بالكلية الياسوعية، ولكن لم تزر الهلال الخصب كي تقل ذلك في بحثك؟

- كان لدي شغف لمعرفة سرّ هذا الاهتمام على مرّ العصور من كل الممالك والإمبراطوريات بتلك المنطقة.

- وهل أرضيت هذا الشغف؟

- لا يا سيدي، فلم تعد لدي إمكانيات مادية لاستكمال الحلم كما أنني كنت مرتبطاً بموعد التقدم للحصول على البكالوريوس في يوليو

- نعم نعم، ولكنك أوردت في بحثك معلومات وأراء ملفتة للنظر حتى أنك تفوقت على البروفسور (جيمس) في تفصيله الجغرافي!

- مازال لدي الشغف للعودة واستكمال حلمي المعرفي.

- ستعود يا (تي)، ولكن ليس فقط لاستكمال شغفك الخاص، بل

لخدمة مملكتك وملكك.

- وكيف يكون ذلك يا سيدي ؟!

- أولاً: ستبقى معنا لمدة أربعة أشهر متواصلة للتدريب، وخلال هذه المدة ستكون أكثر تحملاً لكل شيء.

- يا سيدي: لقد سافرت إلى فرنسا بدراجتي الهوائية.

- اعلم يا (تي)، أنك سافرت بدراجتك الهوائية إلى فرنسا قاطعاً ٢٤٠٠ ميل من أجل تحصيل بحث عن التاريخ العسكري، وحصلت من خلاله على درجة التفوق الأولى والامتياز العلمي، والذي أهلك لتكون تلميذاً مباشراً للبروفسور (هيو جارت).

- أسف: يا سيدي، لقد اندفعت.

- من أجل ذلك يا (تي)، سيتم تدريبك جيداً على استخدام كامل خلايا عقلك الباطن والإدراكي في وقت واحد، كي تستطيع استشفاف نوعية الأشخاص من طريقة تفاعلهم وكلامهم وانعكاس ردود الأفعال على وجوههم.

- قبل أن أعطيك فكرة تفصيلية عن مشروعني، أريد منك أن تطلعني على حجم معلوماتك عن (الهلال الخصيب).

- طبقاً لما درسته، هو قوس هلالى الشكل، يبدأ من الناحية الشرقية

من فرع دمياط من نهر النيل في مصر، ويمتد شرقًا وممرورًا بفلسطين والأردن وسوريا وشرق البحر الأبيض المتوسط على طول هضبة الأناضول، وحتى منطقة المرتفعات الواقعة بين بلاد فارس وبحر قزوين، ثم يمتد جنوبًا ليشمل بلاد ما بين نهري دجلة والفرات حتى الخليج الفارسي.

- أحسنت يا (تي) ولكن هناك إضافة بسيطة، هذا التوصيف الذي ذكرته هو توصيف أحلام اليهود من خلال مطبوعات التلمود التي نشرت في عام ١٨٦٣ م بوارسو ببولندا والذي ترجم إلى الإنجليزية فقط عام ١٨٩٢ م تزامنًا مع حركة الصحوة الاستعمارية لمملكة صاحب الجلالة بحثًا عن سُبُل رخاء أفضل لرعاياه.

- وهل هناك توصيف آخر ؟

- نعم يا (تي) هناك توصيف آخر يخضع لمملكة القوة، مملكة بريطانيا العظمى، إن اليهود يتصورون الآن أنهم يتحكمون في العالم، ويتخيلون أن خططهم تؤثر على سياستنا، ولكن جلّ ما حدث أن أحلامهم، اقتربت وتشابهت مع إرادتنا الكاملة في السيطرة على (الهلال الخصيب)، الذي هو في نظر المملكة البريطانية العظمى، عبارة عن هلال يخدم مصالحها بداية من حدود مصر والسودان غربًا، وحتى هضبة الأناضول شرقًا وسقوطًا حتى المحيط الهندي في نهاية الخليج الفارسي، ولدينا أيضًا هلال آخر اسمه (الهلال الوفير) وهو هلال

معكوس جنوب القارة الإفريقية، يبدأ غرباً من الجابون وينتهي شرقاً بدول القرن الإفريقي وخليج عدن مروراً بجنوب إفريقيا جنوباً في المحيط الأطلنطي.

- أعلم يا سيدي؛ أن أحلام مملكتنا العظمى أن تطغى على العالم وترفعه إلى مصاف الحضرة والتقدم.

- ليس هذا فقط يا (تي) بل أيضاً لأن تلك الدول والبلدان وخاصة إفريقيا كلها كقارة، تفيض أراضيها بثروات لا حصر لها من النفط والمعادن والزراعات والحاصلات الغذائية بالإضافة لتوازن واعتدال الطقس دائماً، هؤلاء العبيد يهرولون على موارد هم أقل كثيراً من وجودهم وسيادتهم عليها، وأسلافنا العظماء الذين ذهبوا أول ما ذهبوا في رحلات صيد لهم ليكونوا عبيداً يخدمون طبقاتنا الراقية من البشر. كانت لديهم الفطنة والذكاء الكامل عندما فكروا في نزول تلك الأراضي الزاخرة بمواردها الطبيعية واقتياد هؤلاء العبيد للعمل نظير ما يكفي قوت يومهم.

- أنا تحت أمركم سيدي.

-أولاً يا (توماس) فلتقرأ هذا التقرير وتقل لي: ماذا فهمت منه ؟

جلس (جيمز) ساندأ ظهره العريض لتبرز بطنه العملاقة باستدارتها وأشعل سيجاراً من النوعية الرفيعة وهو ينظر إلى (لورنس) الذي انكبَّ

على الوريقات في يده وعيناه تلتهم الأحرف في شدة التركيز.

- التقرير الأول يا سيدي، يوضح أن بلاد الهلال الخصيب بدايةً من مصر والسودان ثم فلسطين والأردن وسوريا ولبنان والعراق وشرق البحر الأبيض المتوسط، تمتاز بأفضل طقس طوال العام، وتنتشر فيها أفضل حاصلات زراعية، ولديها فيض مائي مستمر لوفرة الينابيع والأمطار الموسمية، كما أنها غنية بالموارد التعدينية والنفطية وأيضًا الآثار التاريخية التي تربط الثلاث ديانات السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام، وأهم من كل ذلك فهذا الهلال الخصيب هو الذي يربط قارة آسيا بأوروبا وأفريقيا من خلال المضائق والممرات المائية الاستراتيجية، ومن يتحكم فيه يتحكم في العالم ككل.

- والتقرير الثاني ؟

- التقرير الثاني: عبارة عن خريطة مظلمة بألوان لـ (الهلال الوفير) كما ذكرت، ولكن تلك الألوان: الأحمر، الأصفر، الأخضر، الأسود، ليس موضح عليها أي بيانات ؟

- كل لون من تلك الألوان، له معنى سياسي يا سيد توماس مرتبًا ارتباطًا وثيقًا بجدوى المشروع الذي أعده حاليًا لتطبيق خطة محكمة لتمكين مملكتنا العظمى من مصالحتها حول إفريقيا، سيكون لك دورًا محددًا، ستقوم بتنفيذه مهما تكلفت من مصاعب حتى تحقق النتائج

المرجوة كما وضعت في خطتنا، وسيكون معك أعضاء آخرون كلُّ سيقوم بما وجب عليه، ولكن دورك وشغفك هو ما لفت نظري وجعلني أعدل خطتي لتكون أسرع وأكثر فعالية ممَّا تخيلت، إذا ما كنت عند حسن ظني بقدراتك. تحركا سيرًا على الأقدام بطول الممشى المرصوف والضيق حتى نهايته ثم عادا وكأنهما يعدان الخطى و(جيمز) يلوح أحياناً بيديه الكبيرتين وتنعكس أشعة الشمس على الخاتم الملكي الذي يرتديه في إصبعه الأوسط باليد اليسرى (خاتم الفيلق السادس عشر من كتاب الفرسان الملكية) وابتسامته الكبيرة تملأ وجهه المكتنز ليبرز شاربه الأسمر الكبير.

- لن أوجهداً يا سيدي.

- أتمنى ذلك، أمامنا الآن فقط نصف ساعة سأشرح لك فيها شكل الخطة والتي أتصور أنك ستكون أبرع ما يمكن في تنفيذها.

- كلي أذان صاغية، جنرال

- بعد أن تتلقى دروساً لمدة شهر كامل في أصول اللغة العربية والقرآن وأصول وعادات العرب ستخضع لمدة شهر لدراسة علم نفس المقارن ما بين الشعوب والأمم على مرّ التاريخ بعدها لا يبقى أمامك إلا التدريب الميداني لمدة شهر على استخدام الأسلحة وكيفية تطويع الطبيعة التي تتواجد فيها لما يفيدك دائماً. وإذا ما اجتزت تلك الدراسات في

موعدھا المقرر ستذهب إلى بلاد الشام وسيكون نطاق عملك بداية من الساحل وسقوطاً حتى بلاد ما بين النهرين ومروراً ببلاد الحجاز ونجد وستكون لك ميزانية مالية منفصلة وكل تقارير عملك الميداني ستكون سرّاً لا يعلم بها أحد سواي .

- أوافق يا سيدي وفي خدمة مملكة صاحب الجلالة.

- إذا؛ بعد تناول الغداء سيعلمك (هاري) بكل الإجراءات.

تدرّب (لورنس) على كل أنواع الأسلحة المتوفرة وقطع شوطاً طويلاً حتى أصبح ماهراً في التصويب مثل الجندي الذي قضى عمره يحارب في الميدان وكسب أيضاً مع قدرة التصويب قدرة التحمل كأى جندي يعيش في صحراء قاحلة في انتظار إمداد من خطوط جيشه والتي انقطع بينهم الاتصال، تدرّب على أحدث الوسائل والدراسات في علم الاستخبارات وقراءة الأعين وحركات الجسد والوجه مع التركيز على سرعة البديهة في اتخاذ القرارات لخدمة الهدف المنشود. وفي شهر ديسمبر من عام ١٩١٠ كان (لورنس) يستكمل رحلته في طرابلس بعد أن مرّ على (أبو منصور) وطلب مرافقة (سليم أحمد الدهوم) معشوقه وخادمه. وقضى ثماني أشهر في دراسة كل شيء عن التركيبة السكانية للعرب وعاداتهم ولهجاتهم وتأثرهم بذلك المكان. واكتشف أن موضوع الارتباط ما بين الإنسان العربي والأرض التي يعيش عليها ليس له علاقة بالاعتقاد الديني فقط بل بالقومية نفسها فالإنسان

العربي مرتبط بأرضه سواء كان مسلمًا، مسيحيًا، درزيًا أو حتى وهابيًا، فقط المسلمون منهم يعتقدون بكل اقتناع كلي وكامل بوجود الوحي والمسلّمات الكاملة في الدين الإسلامي والمبنية على الغيبيات التي بلغت لهم من خلال رسولهم محمد (ص)، ولا يرضون أبدًا أن ينتهك أحد تلك المسلّمات وينظرون إلى الغرب وخصوصًا أوروبا على أنها بلاد الملحدين وناكرين الدين والمفسدين في الأرض.

وبعد التطورات الاستعمارية التي طرأت في الشمال الإفريقي والتوترات التي أحدثتها ألمانيا نتيجة احتلال إيطاليا لليبيا بموافقة وتأييد مملكة بريطانيا العظمى والجمهورية الفرنسية. كان لزامًا استدعاء لورنس للوقوف على آخر التطورات الجارية في نفوس الجاليات العربية هناك.

وبعد أن عادَ إلى أكسفورد وسلّم تقارير مكتوبةً وشفهيةً، تمّ الانتقال للمرحلة الثانية وهي التوسع والانتشار وتقييد القطر من الناحية الاستخبارتية. وهنا ظهرت موهبة (لورنس) الطاغية في رسم الخرائط الدقيقة جدًا لكامل البلاد بدايةً من بيروت على ساحل البحر الأبيض المتوسط وحتى العراق مرورًا بنجد والحجاز. ولأنّ مملكة بريطانيا العظمى كانت تحتل مصر بشكل غير رسمي فلم يكن لها أن تمنع مرور جيوش المملكة العثمانية من خلال القاهرة والإسكندرية وحتى حدود مصر مع ليبيا لملاقاة الجيوش الإيطالية المحتلة وما كان منها إلا أن أرسلت (لورنس) خلف خطوط المملكة العثمانية في

الصحراء الغربية المصرية وقام برسم خرائط توضح الطرق وآبار المياه ونقاط الضعف وأبلغ بها قاداته. وعندما انتهى من مهمته عاد سريعا إلى طرابلس الشامية يستكمل دوره الذي عشقه ثم ادعى أنه ذهب في رحلة تقضي آثار جديدة حتى وصل إلى حدود العراق مع قبائل نجد ووردت إليه معلومات مؤكدة من أن الإمبراطورية الألمانية تنوى إنشاء خط سلك حديدية يربط برلين ببغداد، هذه السلك الحديدية التي إذا ما تمَّ إنشاؤها فعلاً ستكون ضربة قاسمة لمصالح المملكة البريطانية والتي كانت تتواجد في الخليج الفارسي بصفة الصديق والحليف الاقتصادي مع الدويلات والولايات على الساحل بما فيها بلاد فارس، ذلك المشروع الذي رغبت فيه المملكة العثمانية لزيادة نفوذها وإحكام السيطرة على إقليم العراق بعد ظهور الفتن والصراعات التي تطالب بالانفصال وألمانيا هي الأخرى تريد أن تظهر بأي شكل سياسي واستراتيجي على مسرح الأعمال في الخليج الفارسي لتربط مصالحها في أفريقيا الاستوائية بمقر الإمبراطورية.

طبقاً للأوامر الجديدة من الجنرال (جيمز) فيكون (لورانس) حراً في اتخاذ القرار اللازم لمواجهة أي مشكلة تنشأ حول الأراضي التي يعمل بها وعليه العمل بأي طريق مهما كان مستحيل للحفاظ على مصالح مملكة بريطانيا العظمى، وبناءً عليه سافر لورانس سريعاً إلى مصر وأخطر اللورد (كيتشنر) بالمعلومة التي وردت إليه ومدى تأكده منها. ففوجئ بأن اللورد لديه تلك المعلومة مسبقاً.

(١١)

المِعْوَلُ الْأَخِيرُ

إذا ما تركتني أتذوق تفاحةً من شجرتك، فلا تلومني إذا ما أسقطت
كلَّ ثمارها وجمعته، فقد خضت بقدمي في الطين أسفلها، وتعففتُ
أنت من أن تلوّث خفيك.

١٩ مايو عام ١٩١٠ م

بعد مرور شهر واحد من خلع السلطان عبد الحميد الثاني وإيداعه (قصر الأتيني) جاءت المطالبات لقادة الاتحاديين من اليهود بالسماح لهم بالنزوح إلى أرض فلسطين . ونظراً لانشغال ساسة جمعية (الاتحاد والترقي) وجمعية (تركيا الفتاة) بتنظيم صفوفهم وتوزيع النفوذ السياسي حول أراضي المملكة تمّت الموافقة بشكل شفهي بأنه لا مانع من أن يعود أي يهودي إلى أرض فلسطين فقد قامت الثورة من أجل حرية الإنسان على كامل الأرض وفي الاتجاه الآخر كان الطورانيين يعملون على استصدار قرارات وترتيبات لإقصاء العرب الموجودين على أرض المملكة العثمانية وخصوصاً عرب الجزيرة والذين يتشدقون بأصولهم وانتماءاتهم الشرقية والمشرفة . وبدأ الإعلان عن العمل بإقصاء اللغة العربية من المحافل الرسمية وإحلال اللغة التركية بدلاً منها ولكن الظروف السياسية لم تكن تسمح بالالتفاف

لأي شيء سوى تمكين القوى حول المملكة وخصوصًا أن الأطماع بدأت في الظهور بالاستقلال عن المملكة مما كان سيُضعف قوة الاتحاديين ويدمر حلمهم بالوصول لسُدة الحكم والسيطرة عليه.

وبعد أيام تَمَّت ترقية طلعت بك إلى رتبة الأستاذ العظيم ليكون بذلك أستاذ المحفل العثماني الأعظم وتمَّ أيضًا ضمُّ الضابط (مصطفى كمال) أخًا إلى المحفل الماسوني وأيضًا قائد الجيش الرابع (جمال باشا) تمَّ ضمُّه إلى المحفل أخًا رسميًا . ونظرًا لأن الدستور المعمول به كانت به إصلاحات اقتصادية موسعة حول المملكة، فقد وجد اليهود فرصتهم سانحة في عرض رؤوس أموالهم الضخمة للعمل على النهوض بالمملكة كما أنهم طرحوا قرضًا ميسرًا لإنشاء سكة حديدية في آسيا الصغرى. فلم يجد (جاويد باشا) و(طلعت بك) وباقي القيادات التنفيذية في جمعية الاتحاد والترقي بُدأً من الموافقة على هجرة اليهود إلى الأراضي الفلسطينية ولكن دونَ وعدٍ رسمي أو معلن خوفًا من انتفاضة العرب والعالم الإسلامي ككل مما سيُضعف ويؤثر على المملكة. في الوقت الذي كانوا فيه مشغولون بتنظيم صفوف الجيش لإحكام السيطرة على دويلات البلقان وجنوب المملكة وتمَّ الاتفاق الرسمي مع الإمبراطورية الألمانية لعمل إصلاحات عسكرية موسعة. وتمَّ شراء قطعًا بحرية مجهزة ، وأنشئت القوات الجوية العثمانية لأول مرة، وتمَّ تقليد قادة عسكريون جُدد يتفقون في المذهب الفكري معهم

كان منهم (رؤوف بك) و(إسماعيل أنور العظمة) والذين وضعوا
أسسًا جديدة للجيش العثماني تشابه الشكل العام للجيش الألماني.

ولكن هجرة اليهود البسيطة، والتي بدأت بوضع اليد على الأراضي
الخالية والغير مسكونة من الفلسطينيين، أشاعت القلق في صدور
سكان الشام العرب والمسلمين ككل، وبدأ الرفض في الصحف
وندد المثقفون بتلك الخطوة التي تتم، وتم توجيه التهم لجمعية
الاتحاد والترقي، وتصدرت عناوين جريدة الأهرام في مصر، تحليل
لسيطرة اليهود على دوائر الحكم في المملكة العثمانية، وتأثر القادة
والبرلمانيين بالماسونية وانتمائهم لها. ممّا أجاجّ مشاعر المسلمين،
وبدأت تظهر موجات رفض في الشام، في الوقت الذي طلب فيه السيد
(جيمس أرماند دي روتشيلد) مقابلة السيد (هربرت هنري أسكويث)
رئيس وزراء مملكة بريطانيا العظمى.

- سيدي إنه لشرف كبير قبولكم لقائي.

- أهلاً بك سيد جيمس.

- سيدي كنت قد اتفقت مسبقاً مع السيد (بانرمان) على عدة طلبات
تتوافق مع مصلحة مملكة بريطانيا العظمى، وتوافق تطلعات صاحب
الجلالة.

- لقد اطلعت على كل شيء يا سيد جيمس.

- نعم، يا سيدي، ولكن أنا اليوم أعرض عليكم، وبعد نجاح الجزء الأول من السعي نحو مصلحة مملكة بريطانيا العظمى مملكة صاحب الجلالة، أن نقوم بتطبيق الجزء الثاني.

- هل تقصد إنشاء عائق بشري بين دول الشرق الأوسط العربية يا جيمس؟

- نعم يا سيدي.

- وهل كنت تنتظر أوامري يا جيمس؟! ألم ترسل مجموعات من يهود شرق أوروبا وروسيا، والذين كان منهم، متخفون يعيشون في الشام ومصر؟

- نعم يا سيدي، ولكن الموضوع لا يقتصر على ذلك، بل عمدنا إلى تطبيق كامل الخطة طبقا لجدول زمني وضع منذ سنوات، ونحتاج إلى دعمكم في ذلك.

التقط السيد (هربرت هنري أسكويث) سيجار من علبة بيضاوية الشكل وضعت على مكتبه وقصف أوله بقاصة حديدية صغيرة والتفت إلى السيد (جيمس أرماند دي روتشيلد)
- قل يا سيد جيمس.

- أنا، أعرض على سيادتكم: توفير مجموعات من اليهود تنضم إلى جيوشكم، وتخدم مصالح صاحب الجلالة نظير دعمكم الكامل في

هجرة اليهود إلى أرض الميعاد التاريخية.

أشعل السيجار، وهو يشفط من خلاله كميات كبيرة من الهواء حتى انتشر دخان أزرق كثيف فوق رأسه، ثم زفر بهدوء وهو يتذوق طعم الدخان في فمه.

- عرض جيد من رجل أعمال نشيط يا سيد جيمس وأنا أقبله وسيتمّ الترتيب له فوراً.

عاد (جيمس أرماند دي روتشيلد) إلى قصره العتيق في منطقة (يوركشاير) الريفية، فقد تمّم ما كان يخطط له بالحفاظ على ارث عائلته (روتشايلد) في بريطانيا من التهجير أو لفت الأنظار، فكثرة اليهود الوافدين من أنحاء أوروبا وروسيا، قد أصبحوا شوكة غصة في حلق الملوك والأمراء الأوروبيين خوفاً على مصالحهم وممتلكاتهم من اندماج اليهود واستيطانهم لبلادهم.

في مايو من عام ١٩١٠ م، تمّ إنشاء أول مستعمرة على البحر المتوسط شمال يافا، وكانت بدعم مالي من السيد (جيمس أرماند دي روتشايلد) وأسموها تل أبيب طبقاً لما أورده رسولهم ومؤسس الصهيونية العملية العالمية (تيودور هرتزل) في كتابه عن حلمه لإنشاء دولة لليهود لها سيادة كاملة وأسمائها تل أبيب في كتابه. وكان أوائل اليهود المهاجرين هم اليهود الشرقيون، والذين ينظر إليهم على أنهم بترتيب يتبع ترتيب

اليهود الأوروبيين فدماؤهم ليست نقية مثلهم ولذلك هم أنفسهم
أسموهم (السفرديم) .

تم إرسال فيلق كامل مكون من ألفين وخمسمائة يهودي، ليتدربوا في
أماكن تمرکز القوات البريطانية على شواطئ البحر المتوسط، وبذلك
اتسعت وجنتي السيد (جيمس أرماند دي روتشايلد) وهو يبتسم فخراً
بإنجازه الكبير وهو عائد إلى قصره في (يوركشاير)، فقد نجح في أول
خطوة نحو اقتحام أرض الميعاد في فلسطين وأيضاً استطاع إدخال
عدد من اليهود للجيش البريطاني أكبر مملكة عسكرية على وجه
الأرض ليتدربهم ليكونوا فيما بعد نواة لإقامة جيش يهودي نظامي
يدافع عن مصالحهم وكيانهم.

obeikan.com

(١٢)

الغربان

جيفة واحدة تجمع الغربان.

(مثل ألماني).

٤ نوفمبر ١٩١١م،

برلين، مقر وزارة الخارجية

- سيدي؛ إمبراطور ألمانيا العظيم إن الوقت قد حان لوضع حد
لسياسات فرنسا وإسبانيا
- ماذا ترى جنرال (أولاوف)؟

- أرى أن نرسل قواتنا البحرية إلى مشارف المغرب يا سيدي، فلا
يمكننا أن نترك تلك الأرض بنعيمها لهؤلاء الأغبياء!

- لدي حل أفضل قبل الإقدام على تلك الخطوة يا جنرال (أولاوف)..
- وما هو سيدي؟

- أرى أن أذهب للقاء السلطان (عبد الحفيظ) سلطان المغرب وحثه
على تدويل قضية استقلال المغرب. ومن هنا نوقف أطماع فرنسا

واسبانيا.

- للأسف السلطان عبد الحفيظ ليس كسلفه السلطان (عبد العزيز) يا سيدي، كما أن الثورات التي قامت بأيدي رعيته في جنوب غرب البلاد قد وصلت إلى ذروتها، وها هو يطلب من فرنسا وأد الثورات بجيوشها، وذلك أصبح الحل السحري لتواجد جيوشهم كما تعلم أمام المجتمع الدولي.

- إذا لابد لنا من إقرار حقوقنا في توسيع مستعمراتنا، فلترسل البارجة (بانثر) إلى أغادير .

- سيدي، لا تكفي (بانثر) وحدها فالجالية الألمانية في أغادير تستجد بجيوش إمبراطوريتها من القهر والظلم الواقع عليها من جيوش فرنسا، سأرسل بارجتنا الحربية المسلحة (بانثر) والطراد الطوريدي (برلين) .

وقف الطراد (برلين) قرب سواحل أغادير يتناوب التهديد بقصفها مع البارجة (بانثر) ممّا رفع حالة التوتر في صفوف الجيش الفرنسي في المدينة، واضطر (جوزيف كايو) لطلب مساندة بريطانيا العظمى والتي أيدته سياسياً، وأعلنت موقفها على الملأ إنه من حق فرنسا طبقاً للاتفاق الودي ما بين الدولتين الحفاظ على مصالحها في المغرب العربي، ولكن المخابرات الفرنسية أكدت لرئيس البلاد (جوزيف كايو

(أن الإقدام على إعلان الحرب على ألمانيا سيكون بمثابة ضربة فاصلة لمصالحهم في الشرق الأوسط والشمال الإفريقي فالإمبراطورية الألمانية حليفة المملكة العثمانية منذ سنوات طويلة.

وتمَّ عقد لقاء للتفاوض في مدينة برلين.

- نحن (ماير هولينكو) مقرر المؤتمر الخاص للتفاوض الدولي بين إمبراطورية ألمانيا وجمهورية فرنسا نعلن نتائج ما تمَّ التفاوض عليه: أنه في يوم الرابع من شهر نوفمبر لعام ١٩١١ م بمقر وزارة الخارجية لإمبراطورية ألمانيا بمدينة برلين تمَّ الاتفاق ما بين جمهورية فرنسا ممثلة في سفيرها بإمبراطورية ألمانيا السيد (يوليوس كامبون) و السيد وزير خارجية إمبراطورية ألمانيا السيد (كيندرين) على أن تتخلى إمبراطورية ألمانيا عن وجودها السياسي والعسكري بالمغرب العربي والشروط ومعامل بتنفيذه ، أن تتخلى جمهورية فرنسا بدورها عن مساحة ٢٧٢ ٠٠٠ كم² من مستعمراتها بأفريقيا الاستوائية بالجابون وبالكونغو المتوسطة، لصالح السيادة الألمانية عسكرياً وسياسياً على أن تسحب إمبراطورية ألمانيا كامل القطع العسكرية البحرية من خليج أغادير في موعد أقصاها نهاية نوفمبر.

وعليه تمَّ التوقيع رسمياً من الأطراف المتفاوضة وإقرار العمل بنتائج التفاوض رسمياً مع وضع مسوِّغ رسمي مختوم بمكتبة وزارة الخارجية الألمانية والفرنسية بتاريخ الاتفاق للعمل به.

- سيدي: إن السيد (كيندرين) توصل إلى الاتفاق كما رغبتنا بتوسيع رقعتنا الاستعمارية في إفريقيا الاستوائية

- أحسنتم عملاً جنرال (أولوف)، الآن يمكن تأمين حدودنا الجنوبية والبحث عن مزيد من التعامل الاستراتيجي مع المملكة العثمانية فالاتحاديون بعد أن وصلوا للحكم لا يمكن ضمان مخططاتهم بعد أن سيطر على أوضاعهم الاقتصادية اليهود، ولكن لابد من تنشيط مشروع إقامة سكك حديدية في العراق تربط مصالحنا بإفريقيا إلى داخل حدودنا المأمونة .

- نعمل جاهدين على ذلك يا سيدي، ولكن بعد أن أنشأت بريطانيا شركة النفط الأنجلو فارسية عام ١٩٠٨ م وهم يربطون في كل يوم مصالحهم بشكل وثيق داخل الخليج الفارسي وحتى كل الولايات العربية كلها، كما أن لهم سيطرة تفوق سيطرة فرنسا على قناة السويس بعد أن اشتروا أسهماً تصل إلى أكثر من ثلثي العدد الكلي لشركة قناة السويس البحرية، ولدينا تقارير مؤكدة من عملائنا في الشام تنص على أن هناك اتفاقاً شبه رسمياً سياسياً ما بين بريطانيا وفرنسا على الإقدام على تمكين السيطرة الكلية والاستعمارية من الشام شمالاً وحتى عدن جنوباً وتقسيمها فيما بينهم تبعاً لمصالحهم التجارية والاستراتيجية. وقد رفعوا أيديهم الكاملة تاركين إمبراطورية إيطاليا لنزول أراضي طرابلس الغربية بعد أن جهزوا قوات جديدة تزيد عن ثمانين ألف

جندي قادمين الآن في عرض البحر المتوسط إلى السواحل الليبية، وكل التقارير تفيد أن الغلبة ستكون لهم حتى بعد دعمنا لجيش المملكة العثمانية، فبعد المسافة بين ولاية طرابلس ومقر المملكة العثمانية واختراق طريق الربط السياسي بوجود بريطانيا على الأراضي المصرية وفرنسا في الشام لم يترك للملكة العثمانية إلا وسط جزيرة العرب للمرور من خلالها ولم يجدوا الدعم الكامل من العرب القاطنين بها لأحلامهم في الانفصال والاستقلال هذا بخلاف النزاعات الدائرة بينهم.

- وماذا ترى جنرال (أولوف)؟

- أرى أن نستفيد من مكاسبنا في إفريقيا الاستوائية ونفرض سيطرتنا هناك ونحاول التوسع في إفريقيا في اتجاه الوسط لنحجم توسع بريطانيا وفرنسا وإيطاليا.

- إذا فليكن فلتعد كامل المهمات لذلك وابلغني بالمستجدات .

- علم وينفذ في التاريخ والساعة سيدي الإمبراطور.

(١٣)

أطماع

عندما يكون الحدث عن المُلْك الخاص بالإنسان، فلا تسألنَّ عن دين أو قومية للعرق أو الأرض، فقط يكون هناك انتماءً واحد لشخص المَلِك ومُلْكه وحياته الرغيدة الثرية بالنعائم والملذات الدنيوية الكاملة.

كان (لورنس) قد عاد من مصر إلى الشام ومنها إلى أراضي الحجاز يسعى فيها متكاف على خادمه (سليم الدهمي) يجوب بقاع الصحراء الجدباء ويستلقى على ظهره ليلاً ينظر إلى السماء ونجومها، يظل شهور طويلة يرسم خرائطه ويحصن مخيلته للإعداد بتنفيذ مخطط جهاز (ميم ستة عشر) جهاز الاستخبارات البريطاني بالتعاون مع تحركات المحفل الماسوني الأعظم في بريطانيا بالضغط على كل الأعراق داخل المملكة العثمانية لنيل الاستقلال حتى وصل بلاد نجد وأكل مع أعرابها وحفظ عاداتهم وعرف عنهم وبعد رحلة استمرت ثماني شهور عاد إلى الشام ومنها إلى بريطانيا على سطح سفينة روسية.

- أهلاً أهلاً بعودتك (تي)

- أهلاً بك جنرال جيمز

- لعلك وفقت كما أتوقع ؟

- بل أكثر يا سيدي، فبالإضافة لرسم خرائطي، قد قمت بإعداد بحث

أثري أكثر شمولاً عن تلك الصحراء الشاسعة

- ماذا يمكن أن تبغني عن هؤلاء العرب ؟

- في الجنوب يبحث (عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود) عن تأسيس مملكة آل سعود في بلاد نجد و الأحساء، وفي الجانب الآخر يقف شريف مكة الشريف (حسين بن علي) كقائد لبلاد الحجاز كما أنه نصب نفسه ملكاً لكل العرب والمسلمين.

- إنه لرجل ظريف، وكيف تمّ التنصيب ؟

- فقط، وقف أمام قصره وأمام الشيوخ والعلماء والفقهاء وقال طبقاً لأنه ورث الأصل الهاشمي من النبي محمد فهو خليفة المسلمين في كل العالم.

- وماذا ترى يا (تي)؟

- أرى أن مصلحتنا الأساسية مع الشريف (حسين بن علي)

- ولماذا ؟ ليست مع (عبد العزيز آل سعود) ؟

- إنه طامع ليس في بلاد نجد، بل في كل الجزيرة ولا يدين بالولاء إلا للشيخ (مبارك الصباح) في إمارة الكويت والشيخ (عيسى بن خليفة) حاكم البحرين وأمير قطر (قاسم بن ثان) فهؤلاء هم من آووه عندما كان يحاول استعادة مملكة جده (فيصل بن تركي آل سعود) ويكره

(محمد بن صباح) حاكم الكويت، لأنه رفض أن يستضيفه عنده في بداية مناوشاته مع (محمد بن رشيد) حاكم جبل الشمر ونجد، بعد أن سقطت مملكة آل سعود الثانية من بين يدي أبيه (عبد الرحمن بن فيصل آل سعود) بسبب الفتنة التي نبتت بعد وفاة أبيه فيصل بن تركي آل سعود بين ابنه الأكبر ووريثه عبد الله وأخيه سعود بسبب أطماعهم في الحكم وانتقال وراثة الإمامة والملك إلى نسلهم.

- أرى أنك تعمقت كثيراً في تاريخهم !

- جنرال، كما تدربت على يدك، لكي تعرف نقاط ضعف عدوك، يجب أن تدرسها جيداً وتلك الصحراء الشاسعة بوديانها وجبالها وقُصُرها لا يعرفها أحد أكثر من هؤلاء الحفاة، فالمملكة العثمانية على مرّ تاريخها لم تتمكن بشكل كامل من إحكام السيطرة التامة على تلك المناطق ولم تجد حلاً سوى تقليب القبائل على بعضها ونشر الأطماع فيما بينهم، فظلوا يتناحرون ويتقاتلون فتبقى الغلبة للحاميات العثمانية.

- وما هو الموقف الآن من ناحية المملكة العثمانية.

- كما هو يا سيدي، " فرق تسد " .

- ولكن هؤلاء البدو غير كل ما قرأته من معلومات عنهم وهي قليلة جداً كما تعلم.

- وكيف ذلك ؟

- إنهم ليسوا بالغباء الذي نتخيله بل على العكس لديهم غريزة للحكم والسيطرة ولا يتورعون عن سفك الدماء ابسط من أن يسكب قدح من لبن الماعز الذي يشربونه.

- همج ؟

- ليسوا همجًا بالمعنى المتعارف لدينا. فليهم دينهم "الإسلام" وهذا الدين يمنعهم من سفك الدماء دون وازع أو سبب قوي، ولكن بعدهم عن مراكز الحضارة والعلم والتعلم خلق في قلوبهم صداً، أشد وبألاً من صداً حواف سفن الشحن الدولية.

- يا لك من بارع في التوصيف يا (تي)!

- ليس مجرد توصيف يا سيدي، إن عبد العزيز آل سعود حاكم نجد الآن، أصبح كلما فتح مدينة وولى حامية من عسكره البدوي عليها واطمئن لتبعتها له، أرسل في إحضار علماء في الدين يُلقنون البدو ويُعلموهم من أجل رفع مستواهم، مع بث روح حرمة الخروج على الحاكم ما دام عادلاً، فهو بذلك يستخدم أسلوباً أقوى كثيراً من رصاص البنادق، كما أن ذكاه وجسارته عندما فتح الرياض وقتل واليها من آل رشيد يدل على شخصيته وتقانيه العسكري رغم بدائيته.

- أراك تصف قائداً عسكرياً يا (توماس) ؟!

- هو قائد عسكري فيما يخص مستوى القتال في بيئته فعلاً ولا يتراجع

عن تحقيق هدفه مهما تكلف، لدرجة أنه زحف لقتل أبناء عمّه (سعود بن فيصل آل سعود) عندما خرجوا عليه وحاولوا الاستقلال بجزء من المملكة مطالبة بحقهم الشرعي في المملكة خلفا لأبيهم والذي تنازع مسبقاً مع أخيه الأكبر طلبا لميراث الإمامة والحكم.

- وهل قتلهم فعلاً؟

- لم يلحق بهم فقد تفرقوا وهربوا، وبعضهم ذهب إلى بلاد الحجاز في حماية الشريف (حسين بن علي) بحثاً عن التجمع لتقويض حكمه، ممّا زاد التوتر بين الشريف (حسين بن علي) وبينه مرة أخرى بعد محاولة انقضااض الشريف حسين على بلاد نجد لضمها لحكمه، بعد أن أعلن أنه خليفة المسلمين والعرب. والذي كان ينفذ بذلك إحدى أوامر المتصرف العثماني في الحجاز لعلمهم الكامل أن (عبد العزيز آل سعود) لن يخضع للمملكة العثمانية وغالباً سيلجأ لبريطانيا للتعامل معها مثلما فعلت باقي الولايات مسبقاً. وهذه كانت البدايات لتخلي الشريف (حسين بن علي) عن الولاء الكامل للمملكة العثمانية.

- ألم تقل في تقريرك الأول أن التعاون يجب أن يكون مع شريف مكة؟
- نعم، المملكة العثمانية تكره (عبد العزيز آل سعود) والشريف (حسين بن علي) في آن واحد، ولكنها كانت تعتمد على الشريف (حسين بن علي) في بلاد الحجاز و(محمد بن رشيد) في نجد

والأحساء وبعد تدخل جيوشنا البحرية الباسلة في الخليج الفارسي، وفرض الحماية بعد أن طلبها حاكم الكويت والبحرين طلباً في الأمن من هجمات البدو فقد بسطت أيدينا لهم ليقبلوا طمعا في الأمن. وهذا ما نحن عليه الآن مع كل أمراء ولايات ساحل الخليج الفارسي بما فيها قواتنا المرابطة على سواحل اليمن والاتفاقيات الاقتصادية الموقعة معهم.

- وما المشكلة إذا ؟

- المشكلة تكمن في أنه يجب العمل على تفتيت توحد بلاد نجد والحجاز وأن لا تستقر الأحوال السياسية إلا بعد تنفيذ مخططنا الكامل بفرض الوجود البريطاني رسمياً وزرع الكيان البشري لفصلهم عن باقي الأمة العربية والإسلامية في الشام ومصر والمغرب العربي في شمال إفريقيا.

- فلتوضح لي وجهة نظرك يا (توماس)

- لدي معلومات مؤكدة أن الشريف (حسين بن علي) سيحاول الاتصال خلال أشهر قليلة بقواتنا في مصر للتعاون معها في تمكينه من الاستقلال عن المملكة العثمانية، أما عبد العزيز آل سعود فهو منشغل في محاولة تثبيت حكمه ومملكته الثالثة في بلاد نجد، خصوصاً بعد ثورات البدو عليه.

- وهل ثار عليه البدو؟

- لقد ثاروا عليه وعلى (محمد بن رشيد) في آن واحد ونهبوا وسرقوا المؤن والسلاح وكل الإمدادات العسكرية والمدنية من الخيام في هجمة خاطفة ماكرة تدرس عسكرياً.

- حقا فعلوا؟

- نعم جنرال، وخسر (عبد العزيز آل سعود) و (محمد بن رشيد) في آن واحد وأصبح المكسب الوحيد في يد من هم ليسوا طرفاً أصيلاً في النزاع، وهكذا أفكر.

- يا لك من عبقرى يا (توماس)، كانت لي نظرة، اثبت أنت الآن أنها كانت في محلها.

- شكراً جنرال.

- إليك الجديد أيها البطل المغوار، لقد تمّت ترقيتك إلى رتبة رائد في جهاز استخبارات المكتب العربي بمصر، وسيتمّ وضعك كركن رابع مع ثلاثة أشخاص آخرين، ستعملون من خلال خطة محكمة خلال عام من أجل إحكام سيطرتنا على الخليج الفارسي والجزيرة والشام والبحر الأحمر.

- سيدي، بكامل الفخر أقبل ترقيتي منكم، ولكنني أتوقع طبقاً لما لدي

من بيانات جمعتها أنه ربما ستشتعل حرب خلال سنتين من الآن!

- ألم أقل أنك ذكي، ربما تنشب حرب فعلاً، ولكن ليس خلال سنتين يا (توماس)، ربما خلال أشهر، والآن دوركم هو حصر وترتيب مصالحنا حول الهلال الخصيب وشبه الجزيرة العربية والخليج الفارسي.

- أوامركم سيدي.

- فلتعد لاستكمال عدة معلومات احتاجها الآن في الشام والجزيرة ويجب أن تكون دقيقاً تماماً في التأكيد عليها، فبناءً عليها سيتمّ الترتيب لمنافعنا من سقوط الرجل المريض، وبعد ترقيتك فأصبح لديك صلاحيات أوسع في اتخاذ القرار يا (تي)، فلدي القوة الآن لفرض قرارات سياسية خلال الأشهر القادمة حتى ولو كانت تتنافى مع القرارات العسكرية للقادة الميدانيين في مستعمرات الشرق وإفريقيا.

obeikan.com

(١٤)

قطيع بلاراعي

إن الجزارين عندما ينوون الإجهاز على ذبيحتهم، فإنهم يهادونها ويمسّون بأيديهم على ظهرها حتى يتمّ توثيق أرجلها وفكيها، ثمّ تمارس السكين الكبيرة بنصلها المشحذ ما صنعت من أجله، وتسيل الدماء في خطوط أمام أعين الذبيحة الغير مدركة، أن الظلام بدأ في الطغيان على أيامها فتحاول أن تفر هلعاً، ولكن القيود كانت محكمة، فتزفر بهدوء ووداعة بعد أن تميل عنقها المبتور حتى تهرب الدماء وتكوّن بقعة كبيرة على الأرض، ترسم خيال حي لصاحبتها.

في عام ١٩٠٢، انضم (وينستون تشرشل) الصحفي الحربي، والقائد الميداني العائد من معارك الجيش البريطاني في الهند والبوير إلى جمعية (ستودهولم) الماسونية في لندن، وكان لوجوده كقائد لسرية الخيالة (هينلي) بسلاح فرسان الملكة أكسفوردشاير تأثير كبير، أن اختلط بصغار مالكي الأرض من الفرسان اليوامنة الإمبراطورية، والذين كان معظمهم أعضاء ماسونيين، وبعد أقل من سنتين تماما من الاطلاع والاحتكاك وحضور الاجتماعات ومناقشتها، أصبح (تشرشل) ملحدًا لا يتبع أي دين لا سماوي ولا أرضي، مما يؤكد اقتناعه الكامل بمبادئ الجمعية الماسونية الأساسية، والتي تفرض الانسلاخ من أي معتقد مهما كان، لتبني أفكارها الماسونية الخالصة. وبعد وصول سير (بانرمان) كرئيس للبرلمان والقيام بتشكيل حكومة جديدة تتبع الحزب الليبرالي، أصبح تشرشل (وكيلًا لشؤون المستعمرات) مما مكّنه من زيارة أقطار إفريقيا والهند والجزيرة العربية وحوض الخليج

الفارسي، ممَّا أثار فيه أبلغ تأثير بالحضارة الشرقية وعاداتها وتقاليدها، ونتيجة ذلك أن نقل كل إعجابه إلى داخل الحفلات البريطانية داخل المملكة، فلقد كان متيمًا بحضارة الشرق وتاريخه، لدرجة أنه درس الأصول العقائدية للدين الإسلامي، وظهر الكثير في كلامه الخاص مع أصدقائه عن عشقه لذلك الدين، لدرجة أنه قال ذات مرة أتمنى لو كنت باشا عثمانياً كبيراً ذا منصب عال وفخم. وبعد أن وصل رئيس الوزراء الجديد (هربرت هنري أسكويث) إلى منصبه، وهو أيضاً من الحزب الليبرالي أسند منصب رئيس مجلس التجارة للسيد (تشرشل) فأعطاه منصبه صلاحيات إلى تقديم مشروعات قرارات كبيرة جداً، تهدف إلى إصلاحات ليبرالية كبيرة داخل المجتمع البريطاني، كان أشدّها تأثيراً، مشروع تحديد حدّ أدنى للأجور، وتحسين النسل، ومساعدة العاطلين، وكان لتلك القرارات صدى واسع، أعطى (تشرشل) مزيداً من الشهرة والإعجاب في نفوس الجمهور البريطاني والقادة السياسيين في نفس الوقت، ممَّا دعمه في حملته الانتخابية ليتمر مشروعاً جديداً بعمل إصلاحات اجتماعية وتوافق ما بين مجلس العموم ومجلس اللوردات، لتزهو نجومه عنان السماوات، ليترقى إلى منصب وزير الداخلية ويستطيع المناص من المشكلة السياسية التي واجهته في شارع سيدني بلندن، عندما اضرب عمال المناجم عن العمل واشتبكوا مع الشرطة وتصاعدت الأحداث ومُلئت الأجواء شغباً وقهراً حتى انتقل

هو بنفسه إلى مقر الحدث واستعان بالحرس الاسكتلندي وقاد المعركة بنفسه والتي راح ضحيتها كل العمال المتظاهرين عندما ماتوا حرقاً داخل المباني المتحصنين بها، بعد أن منع (تشرشل) وزير الداخلية قوات الحماية المدنية من الوصول إليهم وإنقاذهم، وكان لهذا الحدث أثراً بالغاً في سقوط صورته الوطنية داخل المجتمع والتي اتهم في الصحف بسببها، إنه متجبر وظالم وسادي وطبقي النزعة، نظراً لأن أغلبية العمال كانوا من أصول وأعراق ليست بريطانية وإنما أحضروا من المستعمرات البريطانية، كما أنه عمل على عدم دعم قانون حرية الاقتراع الانتخابي الحر للمرأة لعدم اقتناعه الكامل به في ذلك الوقت. وبعدها رُقي لمنصب أمير البحرية البريطانية نظراً لخبرته العسكرية وخطط التطوير التي دعا لها، بعد أن رفض مطالبات أمير البحرية السابق (ريجنالد ماكيننا) بزيادة نفقات البحرية البريطانية لزيادة عدد القطع البحرية من نوعية (دريدنوت).

رئيس الوزراء (هربرت هنري أسكويث) كان معجباً بفكر (تشرشل) وبطولته، وهو مازال في عشرينيات العمر، عندما دار مع الجيش البريطاني كمراسل حربي يستطلع المواجهات من الخطوط الأمامية بلا خوف، وينقل تلك المعارك في مقالاته الصحفية وكتبه التي صورت الأحداث بدقة وإبداع، لم يكن خفياً على رئيس الوزراء والذي أقرّ بدعم كامل لجهاز (ميم ستة عشر الاستخباراتي) للقيام بدوره

الكامل داخل وخارج المملكة البريطانية، أن (تشرشل) الشاب عمل مراسلاً حربيًا من أجل المال والانتصار الشخصي، فبعد رحلته إلى كوبا وهو لم يبلغ الواحدة والعشرين من عمره، قد عاد أولاً عاشقًا للمشاركة في كل الأحداث والتلذذ بها مهما كانت ضارية، وثانيًا عاشقًا للسيجار الكوبي الذي لم يفارق فمه من بعدها، وشكلت تلك الرحلة بداية شغفه وانطلاقه نحو العظمة التاريخية التي يُشدها، فكانت تلك الرحلة هي بداية خروجه من الأراضي البريطانية للانطلاق ومشاهدة العالم والتأثر بها والتأثير فيه، هذا الشاب أبيض البشرة وديع الملامح بشعره المصفوف بنعومته واصفراره الأرسقراطي، تخيل نفسه مثل السيد (ويليام كوكران) عضو مجلس النواب الأمريكي والمقيم في نيويورك بكل ما له من عظمة ولباقة ووجود سياسي بارز في المجتمع الأمريكي، استقرّ في منزله عدة أسابيع عندما زار نيويورك وتعلم منه الكثير عن السياسة والعظمة، كان يثق به كثيرًا ويستمع لكل نصائحه فقد كان السيد (كوكران) صديقًا ومعجبًا كبيرًا بوالدة تشرشل الليدي (جينى جيروم) أمريكية المولد والأصل وصديقة عمره.

وكانت أولى اندفاعاته الشبابية، لإثبات نفسه في معركة في غرب الهند البريطانية في مواجهة بعض قبائل السيخ المقاتلة، والتي عرض فيها خدماته على القائد (جيفري)، أرسله القائد مع ثلاثة فرق كشافة كقائد لهم، وتحت وطأة القتال الشرس من القبائل الهندية لم تستطع

فرق الكشافة المقاومة ففرت هاربة بأمر من (تشرشل) ليعود بعدها إلى لندن ويكتب ما شافته عينيه عن ضراوة الحرب وبطولة الجنود ومآسيهم ليكسب خمسمائة جنية إسترليني من مقالاته.

في وسط لندن بمقر مجلس الوزراء ،

- سيدي إن السيد (وينستون تشرشل) أمير البحرية البريطانية يطلب الإذن للقائكم

- فليدخل ، لقد جاء في مواعده بدقة.

- أهلاً.. أهلاً سيد (تشرشل)

- أهلاً بك سيدي رئيس الوزراء.

- أعرف عشقك للسيجار الكوبي ، تفضل.

- شكراً سيدي

- أوافق على خطتك في الخليج الفارسي يا سيد (تشرشل)

- هذا ، ما كنت أنشده اليوم يا سيدي ، شكراً لك .

- لا انتظر شكرك لي يا سيد (تشرشل) ، يتضح من التقرير الذي

أمامي ، أن لك رؤية سياسية بليغة ، ويجب أن احترم ذلك . ولكني ، استدعيتك اليوم لتوضح لي ما وراء السطور ، وما في مكنون عقلك .

- سيدي: لقد عملت سنوات طوياً مصاحباً لجيوش صاحب الجلالة في

فتوحاتها الاستعمارية والتي تدرس في الأكاديميات العسكرية، لفطنة قادتها الميدانيين ودهاء تخطيط القائمين بالسياسة العليا هنا في لندن، ومنها رأيت عن قرب مسرح الأحداث الفعلي وتراكيب الشعوب المختلفة حول منطقة الهند وخليج عدن وإفريقيا الوسطى. لقد حُبينا برقي عرقي يسمو فوق تلك الأعراق، ويجب الحفاظ على ذلك الرقي حول يابسة الأرض كلها بل أني أتخطى الأمر وأقول إنه يجب أن تكون سيادتنا الأولى فوق سطح المياه أيضاً.

- يا لك من طموح يا سيد (تشرشل)، هل يمكن أن تشرح لي وكيف يكون ذلك ؟

- من وجهة نظري، إن النفط والذي يتوفر بكثرة في أراضي الشرق الأوسط هو مستقبل الطاقة في العقود القادمة، فطبقاً لتقارير علمية أوصيت بها مجموعة العلماء والذين اخترتُهم في اللجنة السرية والتي عمّدت إلى العمل مدة ستة أشهر كاملة في نطاق الولايات الفارسية والعراق والجزيرة العربية، تمّ التأكيد على إمكانية استخراجِه بتكاليف ليست كبيرة، إذا ما تمّ الاتفاق مع أصحاب الأرض وتطميعهم في الحماية والصداقة البريطانية. والمخزون المتوقع ربما يكون لا ينضب مستقبلاً.

- وهل أصحاب الأرض لا يعلمون ذلك ؟!

- على العكس سيدي بل يعلمون، وكل الأدلة البشرية، الذين تمَّ استخدامهم كانوا من القاطنين في تلك المناطق، ولكن من أين لهم بالإمكانيات المادية أو التكنولوجية لاستخراجه، كما أن أطماع الحكم لدى فصائلهم العرقية داخل بلادهم تمنعهم من التجمع لاتخاذ قرارًا واحدًا نحو مصلحة قومية.

- وإن لم تكن لنا الغلبة التكنولوجية بوضع قواعد اقتصادية كاملة لنا في تلك المنطقة، فلا يمكن الاطمئنان على مصالحنا في المستعمرات الهندية والإفريقية.

- أنا أقرأ أمامي، أنك أمرت باستخدام النفط بدلاً من الفحم في كل القطع البحرية الأساسية؟!

- نعم يا سيدي، هذا مطلوب، ولا بد من تنفيذه بأقصى سرعة ممكنة، لدينا تجارب منذ سنوات على محاولة استخدام الطيران في المسائل العسكرية، ولم تدخل إلى الاستخدام العسكري فعليًا، ورأينا منذ أيام أن قوات إيطاليا استطاعت تدمير الجيش العثماني الليبي بواسطة قصف جوي قضى ودمر الخطوط العسكرية في ساعات محددة، فلماذا إذا الانتظار؟

- وإذا ما قمت بتحويل كافة الآليات لاستخدام النفط، ودخلنا في حرب نظامية من أين لك توفير مخزون يلبي الحاجة العسكرية وقتها؟

- هذا هو الدافع الرئيسي يا سيدي في إعدادي للجنة السرية التي رافقتني لزيارة الولايات الفارسية لشراء معظم أسهم شركة الانجلو فارسية للنفط، وتوقيع عقد احتكار كامل لمدة لا تقل عن عشرين عاما، وأيضاً تمّ الإعداد للتنقيب في الولايات العربية على ساحل الخليج الفارسي.

- وكيف تضمن ولاء تلك الولايات بأن تؤيد عملك في البحث عن نفط في أراضيها ؟

- يا سيدي رئيس الوزراء، كما تعلم جيداً فلدينا اتفاقيات تعاون كاملة مع إمام مسقط موقعة منذ سنوات طويلة، وأيضاً وُقعت اتفاقيات تعاون مع البحرين وإمارة الكويت وبدورنا نفرض حمايتنا العسكرية على تلك الإمارات الصغيرة بموافقتهم لنحمي تلك الاتفاقيات الاقتصادية، ومن ناحية القبائل المتناحرة في وسط الجزيرة وشرق خليج العقبة، لا اعتقد انه سيكون هناك عائق للتعاون الكامل لأن كل منهم يبحث عن الوصول لحكم أراضيهم ومن ستميل كفته سنكون دائماً أصدقاءه.

- شكراً لك سيد (تشرشل) انتظرني في الخارج لو سمحت.

- عفواً يا سيدي، كما ترون، بعد إذنكم

ثم ضغط السيد (هربرت هنري أسكويث) زر صغير أعلى سطح مكتبه الفخم، ليدخل إليه السكرتير الخاص ومدير مكتبه ويخبره بأن السيد

(جيمس أرماند دي روتشيلد) في انتظاره بغرفة الاجتماعات الخاصة منذ نصف ساعة.

يجلس بكامل الأبهة والهندام الأرستقراطي كما لو كان لُوردًا من طبقات صفوة المجتمع البريطاني، شعره الذهبي اللامع والمصفوف برقي يفرقه من قبل منتصف رأسه بقليل ويرده نحو الجوانب ويضع قبعته متوسطة الطول والتي تشبه قبعة الوزراء واللوردات على منضدة صغيرة أمامه مُمسكًا بسيجار كوبي يستورده من خلال شركته الخاصة وأمامه صندوق متوسط الحجم مغلفًا بلفافة ورقية زيتية اللون وتنعكس شكل ربطة العنق القوسية الرمزية الحريرية على رخام المنضدة، لم تكن في نظراته أو جلوسه ما يمكن لأي شخص أن يحدد فيما يفكر أو ما هي حالته العصبية والنفسية أثناء الجلسة فقد خلى جسده من التعبيرات المتعارف عليها كما أن وجهه دائمًا مبتسمًا بانسراح.

- أهلا بك سيد روتشايلد

- أهلا بك ومرحبا سيدي رئيس الوزراء

- آسف لانتظارك

- أعلم حجم المسئوليات سيدي

- شكراً لتفهمك، اجلس اجلس يا سيد روتشايلد

- اعتدت على استقبال رسائلكم من خلال المحفل يا سيدي ولكني

زدت افتخارًا عندما بلغتني رسالتك برغبتك السامية بلقائي رسمياً

- أنت رجل أعمال يفخر به أي صاحب قرار وهو في وضع المسؤولية

- كامل مجهودي من أجل المصلحة العليا للمملكة وصاحب الجلالة
يا سيدي.

- من أجل صاحب الجلالة أم من أجل وطن لليهود يا سيد روتشايلد،
ألم أقل إنك رجل أعمال ذكي جدًا.

- بل من أجل صاحب الجلالة يا سيدي فأنا بريطاني المولد والإقامة
والحياة والأعمال ولا أشعر بالحياة إلا هنا مهما كانت القومية أو العرق
كما أنني تجردت من القومية الدينية وأبغى نشر الخير والحضارة لذات
الإنسان يا سيدي وأنتم تعلمون ذلك جيدًا فأنتم تشاركونا في فعاليات
المحفل البريطاني الماسوني الأعظم.

- أعرف أعرف يا سيد جيمس ولكن كنت أحب أن أؤكد لك أن بريطانيا
العظمى تدعم مشروع إقامة وطن لليهود حفاظًا عليهم من التشرذ
الدولي وبحثًا عن إقامة حياة لهم وأعتقد أن كل ما حدث خلال سنتين
سابقتين يثبت ذلك

- بالفعل يا سيدي وأنا فخور بدأب وحماية بريطانيا العظمى لليهود.

- أنت تعلم جيدًا يا سيد جيمس أن الأوضاع السياسية في أوروبا حاليًا
في أوج انفجارها والإمبراطور الألماني يسعى في كل يوم لمحاولة

السيطرة على البحر بزيادة النفقات العسكرية والتسليح في محاولة منها للتفوق الكامل حتى يستطيع فرض إرادته على بريطانيا وهذا ما لا يمكن أن نقبله ولو حدث ذلك وتفوقت الإمبراطورية الألمانية وزعزعت سيادتنا للبحر وللتوسع الاستعماري فستجد خلال خمس سنوات إمبراطوريات وقد ملأت الدنيا.

- لدي علم بمجريات الأحداث السياسية يا سيدي.

- ممتاز أولاً؛ نشكر لك تعاونك الكامل مع بريطانيا العظمى في مشروعات مد خطوط السكك الحديدية وتطويرها وعدم امتناعك عن دعم الأسطول التجاري البحري لموازنة الواردات من حول العالم من خلال مستعمراتنا، ولهذا أعطيتك ومددت امتيازك التجاري كما طلبت - أشكر لك ذلك يا سيدي.

- عفواً ولكن اليوم نحتاج لدعم مالي بدفعات منظمة خلال الثلاث سنوات القادمة من أجل تدعيم التسليح وتطوير الأسطول البحري ومدّه بالذخيرة والأسلحة والمدافع الجديدة، واعتقد إذا ما تمّ ذلك لن يكون هناك عائقاً أبداً عن توفير قيد قانوني لإنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين برعاية صاحب الجلالة. ونسبة الفائدة على القروض ستدفع من خلال المواد الأولية والمواد الخام التي سنعطيك أولوية في امتياز نقلها وتوزيعها من المستعمرات وحول العالم. وكل مشروعات

إنشاء خطوط السكك الحديدية في المستعمرات البريطانية ستكون
بامتياز خاص لشركتك.

- أنا في خدمة وطني يا سيدي ولا أستطيع رفض هذا العرض حتى لو
كلف حياتي

- مثلما كنت أتوقع يا سيد جيمس وأنا عند وعدي لك، شكرًا لك وفي
الخارج ستجد مذكرة عمل تفصيلية مع مدير مكنتي أُعدت لیتَّم العمل
بها وأنتظر اتصالك التليفوني غدًا في الرابعة مساءً.

- أتمنى أن أكون دائمًا عند حسن ظنك بأفعالي يا سيدي، شكرًا لك.

obeikan.com

(١٥)

المعول الثالث

عندما يتتبع الإنسان غريزة الطمع الداخلية لديه بالتَّمكُّك، ويرفض
كليَّةً أن يتخيل، أن كل البشر متساوون في الحقوق والواجبات، تأخذه
أرجله غير مدرك إلى الهلاك الكامل.

١٨ يونيو عام ١٩١٣ م

في حي (سان جيرمان) وسط مدينة باريس بالجمهورية الفرنسية، وفي شارع (بلوفارد) وتحت اللافتة رقم ١٨٤ يوجد باب خشبي من درفتين بلونه المائل للبرتقالي، والنحت المتأثر بالطابع الأندلسي المعماري، وأعلاه قاعدتان يفصل بينهما عرض إطار الباب، تقف على كل قاعدة منحوتة دقيقة التفاصيل لامرأتي (كرتيد)، إحداهن تمثّل المياه والأخرى تمثّل الأرض، وفوق رأسهن وفيما بينهما، توجد لوحة كبيرة من النحاس المطلي كُتِبَ عليها بالفرنسية (الجمعية الجغرافية)، من ذلك الباب وخلف هاتين المرأتين، كانت تجلس مجموعة من شباب الدارسين والباحثين في أوروبا من جمعية (العربية الفتاة) بعد أن دعوا أكثر من ستة وثلاثين مندوباً عن الأقطار العربية ليعقد المؤتمر العربي الأول للتناقش حول القومية العربية في مواجهة موجة (التتريك) في المملكة العثمانية والتي يقوم بها أعضاء جمعيتي

(الطورانيين) و(الاتحاد والترقي) في ولايات المملكة العثمانية، بعد أن أسقطوا خلافة السلطان عبد الحميد الثاني في انقلاب عام ١٩٠٨م واستولوا على الحكم وتوغلوا في التحكم في كل السلطات البرلمانية والتنفيذية، مما كان له الأثر الكبير على كل الجاليات والأعراق الأخرى من غير الأتراك، والذين بدءوا في الدعوة للاستقلال والتحرر من قيد الاستبداد العثماني، والتجبر القهري بالتجنيد للعمل في الجيوش التركية الباحثة عن مصالحها فقط، وكان التأثير الأكبر على العرب الخاضعين كولايات تابعة للملكة العثمانية.

خلص الأعضاء من القوميين العرب برئاسة (أسكندر عمون) بعد خمسة أيام عمل هي مدة انعقاد هذا المؤتمر إلى عدة توصيات: (أنه على الدولة العثمانية سرعة إجراء إصلاحات فعلية)، (أن تسمح للعرب بالمشاركة في الحكم وممارسة حقوقهم السياسية)، (يجب أن يكون هناك حكم ذاتي داخلي للولايات العربية التابعة للملكة العثمانية)، (يجب أن تكون اللغة العربية لغة رسمية في مجلس النواب العثماني بالإضافة للغة التركية)، (يجب أن تكون الخدمة العسكرية محلية تقتصر على القطر الداخلي إلا في الضرورة القصوى)، (يجب أن تسمح المملكة العثمانية بتوسيع سلطة المجالس العمومية في لبنان والشام)، (يجب العمل على إرساء مبدأ اللامركزية بشكل كامل في كل الولايات العربية).

لقد انتهى المؤتمر، وخلصت نتائجه في شكل توصيات كتبت في مجموعة من الأوراق، ووصلت منها نسخة إلى يد السيد (جيمز ستانلي) رئيس جهاز (ميم ستة عشر) جهاز المخابرات البريطانية الملكية، وتمَّ استكشاف الآراء في المملكة العثمانية حول نتائج المؤتمر - ما هي الأخبار (هاري)

- الأخبار كما توقعنا جنرال جيمز، أن حكومة البشوات الثلاثة لم تعيرها اهتمام، وهم مشغولون بتمكين أنفسهم من الحكم فمند يناير ومنذ قتلوا (ناظم باشا) وأقالوا (كامل باشا)، وهم يبحثون عن تمكين أنفسهم من كل الولايات، وخصوصًا الشام بعد خسارتهم حرب البلقان وتنازلهم عن طرابلس الغربية.

- اسمع يا هاري.

- أوامركم جنرال.

- لدينا هنا تقريرًا مفصلاً وكاملاً عن الشريف (حسين بن علي الهاشمي)، هو الآن شريف مكة وحاكمها، هذا الرجل كان عضوًا في مجلس النواب العثماني إبان فترة حكم السلطان (عبد الحميد الثاني) وقد أبقاه السلطان (عبد الحميد الثاني) في الأستانة سنوات عدة كعضو في مجلس النواب العثماني، ورفض وعمل على منعه من الوصول إلى حكم مكة تخوفًا منه، لأنه طبقًا لأقوال السلطان عبد

الحميد الثاني نفسه، هذا الرجل طامع ليس فقط في الانفصال عن المملكة العثمانية، بل أن يكون خليفة المسلمين كلهم. ولذلك أبقاه في الآستانة، ولكن وطبقاً لتوصيات مؤتمر (بانرمان) عام ١٩٠٧ م، ومن ضمن آليات تنفيذ المرحلة الأولى من التوصيات، تمَّ الضغط على قادة الاتحاد والترقي من خلال عملائنا في المحفل الماسوني الأعظم العثماني، وتمَّ تسهيل وصول الشريف حسين بن علي ليكون أميراً على مكة والحجاز.

- نعم يا سيدي أنا أعلم بذلك.

- نعم، الخطوة القادمة، هي محاولة الوصول لتنفيذ المرحلة الثانية من توصيات مؤتمر (بانرمان) في أقرب وقت، وهي إقامة فاصل بشري بين دول العرب في آسيا و أوروبا، ومحاولة فصلهم عقائدياً وسياسياً وثقافياً حتى تنهي بذلك فكرة الارتباط والاتحاد مستقبلاً.

- وما علاقة (حسين بن علي) بذلك يا سيدي ؟

- ستعرف قريباً، ولكن يجب تنفيذ ما أُملية عليك الآن بدقة وإتقان.

- علم وينفذ جنرال جيمز.

- يتمَّ التنسيق بشكل سريع ومباشر مع المكتب العربي بوزارة خارجية بريطانيا العظمى بمستعمرة مصر لعمل خطة محكمة يكون فيها المكتب العربي جاهزاً لأي تطور ينشأ في منطقة الخليج الفارسي

والجزيرة العربية، على أن يتم إعداد عناصر تتحمل مشقة التواجد في منطقة الجزيرة العربية الصحراوية لفترات طويلة لنقل تطورات الأحداث أولاً بأول. يتم إعداد مجموعة من العناصر المخبرانية في منطقة جنوب المملكة العثمانية وتطويق فارس واليمن والعراق ومناطق نفوذ الإمبراطورية الألمانية في إفريقيا للوقوف على معدلات التطوير في التسليح وحجم التعبئة الممكنة سواء في المستعمرات والمحميات أو مراكز القوة الكاملة في أوروبا.

تقبلت الأوساط السياسية العربية نتائج المؤتمر بكل ترحيب، وساد الاتجاه القومي العربي على مختلف الأقطار والطبقات، مما كان لزاماً على جمعية الاتحاد والترقي الانصياع لتلك الموجة ومحاولة الاستفادة منها وعدم الاحتكاك بها أو رفضها علناً، فكان من ذلك أن (مدحت شكرو) الأمين العام لجمعية الاتحاد والترقي يلتقي بأشهر قادة القوميين العرب ورئيس حزب اللامركزية الإدارية (رفيق العظم) في باريس في أجواء مضغمة بالتعاون والاتفاق والتأييد ليتم توقيع برتوكول تعاون بين القوميين العرب وقادة الاتحاد والترقي ليتم تفعيل جزء من المطالب.

وما لبث الباشوات الثلاثة حكام المملكة العثمانية على مفاصلة تنفيذ تلك النتائج على أرض الواقع مما دفع البكباشي (عزيز على المصري) لتأسيس جمعية العهد في القسطنطينية لتنادي بمطالب

عسكرية سياسية واضحة ومحددة باستقلال الولايات العربية الواقعة في حكم المملكة العثمانية استقلالاً ذاتياً على أن تتبع المملكة كخلافة إسلامية وأن يوضع التاج العربي بجوار التاج العثماني على العلم وتسمي مملكة ذات التاجين، هذا الاتجاه القومي والذي بدأ يبرز على أرض الواقع السياسي ويدل على فطنة ووعي الضباط العرب داخل الجيش العثماني وبحثهم عن الاستقلال والحفاظ على قوميتهم هو ما أوصل حكومة الباشوات الثلاثة لنفي البكباشي (عزيز المصري) إلى مصر، والتضييق على الضباط العرب داخل الجيوش العثمانية ومحاولة زجهم بعيداً عن مراكز القرار والتحكم العسكري واستبدالهم بالضباط الأتراك.

كانت المخابرات العسكرية المدنية الإنجليزية تعمل بكل جهد على دفع مراكز الضغط داخل جمعية الاتحاد والترقي لاستكمال السيطرة الكاملة، بعد الانقلاب الذي قام به (إسماعيل أنور باشا)، (أحمد جمال باشا)، (محمد طلعت باشا)، وتلك السيطرة كانت تركز على رفض مبادئ الصلح في مؤتمر لندن، والذي عُقد بسبب مناقشات دول البلقان الطامحة للاستقلال عن المملكة العثمانية بعد احتلال إيطاليا للسواحل الليبية، وتنازل المملكة العثمانية عنها سياسياً وعسكرياً ورغم التفوق العسكري الذي ظهر من البكباشي (عزيز على المصري) في تلك المواجهات وتميزه العسكري في قيادة السنوسيين ضد الجيش

الإيطالي، إلا أنهم لم يتعلموا الدرس جيداً من أن فرض سلطاتهم العسكرية كان ظاهرياً فقط، ودون التدخل الأيدلوجي الكامل في مواقع انتشار المملكة، ويتضح ذلك نتيجة عجرفة الأتراك وتعاليمهم على شعوب المناطق التي احتلوها وضموها للمملكة، بما فيها شعوب الأرمن واليونانيين ودول البلقان وأيضاً العرب أكبر الجاليات العرقية داخل حدود المملكة العثمانية، فبينما كانت تلك الدول الأوروبية، تنهض حضارياً وتتطور فكرياً، كان الأتراك حول مقاليد السلطة العثمانية في الآستانة، يعتبرون ذلك تطوراً أوروبياً غربياً كافراً، وتقليده أو محاولة الاتصال به يعد نوعاً من الكفر والخروج عن الملة الإسلامية، ورفضوا تعيين سفراء لهم في تلك الدول أو التعامل المباشر بالسماح بالزواج منهم والعكس، ممّا أبعد المملكة العثمانية عن مجريات التطور السياسي الناهض داخل أوروبا، حتى انغلقت المملكة على نفسها في شخصيات تركية، يديرون الحكم في كل ولاياتها ويرفعون السياط ويفرضون الضرائب ويجندون الشباب من كل فجّ ومن كل وادٍ حول المملكة، حتى تكاثرت الأحقاد وامتلك الكره كامل النفس لكل الجاليات غير التركية داخل المملكة لأي شيء عثماني.

وممّا يدل على تعاليمهم وكفرهم، بمبادئهم أنفسهم جاءوا بها في انقلابهم الأول على السلطان عبد الحميد الثاني هو السماح لأنفسهم بالانصياع خلف اليهود، وتتبع مخططاتهم نحو قهر الشعوب والأعراق،

ورفض العمل بمبدأ المساواة في الحقوق والواجبات.

انتشرت موجات الرفض في دول البلقان، وبعضها طالب بالاستقلال، والدخول تحت وصاية الإمبراطورية النمساوية المجرية، والتي أيدت تلك المطالب، وعملت على تأجيج نار الثورة والرفض، اليونانيين يبحثون عن الاستقلال، وهنغاريا والبلقان وأيضاً الأرمن والعرب. وبدلاً من جمع شتات المملكة والوقوف للبحث والتوازن، استكمل الباشوات الثلاثة حروبهم ورفضهم للنزعات الثورية حول حدود المملكة الشرقية الشمالية والجنوبية.

المخابرات البريطانية، تدفع كل تلك الموجات الثورية لتفتيت المملكة للبزوغ والسيطرة، وفرض قوى جديدة، واليهود من الداخل يدفعون القائمين على الحكم لمواجهة تلك النزعات الثورية، فتتحطم الجيوش وتقوى. وتتفصل الجزيرة العربية في البحث عن استقلالها، ممّا يُعطى الفرصة الذهبية لليهود لتنفيذ فقرات مخططهم بالانتقال الكلي والكامل إلى أرض فلسطين، فالعرب قوى، ولكنها منفصلة ومشتتة، ولا يمكن جمعها إلا من خلال المملكة العثمانية، فإذا سقطت الخلافة أو تبعية العرب في شبة الجزيرة العربية لها، تكون الفرصة سانحة لتنفيذ المخطط بشكل فعلي وآمن.

أحمد جمال باشا وزيراً للبحرية والقائد العام لولاية الشام والجزيرة العربية العثمانية، اشتهر بصرامته وعجرفته تجاه الأعراق الأخرى

من غير الأتراك، وصاحب مجازر حربية شهيرة، بعد أن وصل لحكم المملكة العثمانية مع زميليه في جمعية الاتحاد والترقي، وأصبح له الحكم المطلق على بلاد الشام والجزيرة العربية، وضح في كل تصرفاته الكُره والاحتقار للضباط العرب، وخوفه الدائم منهم واعتبارهم خائنين للمملكة. لم يهتم كثيراً لموجة النزعات الفكرية القومية العربية في بلاد الشام، وعمل على احتقارها دائماً، ولما زادت وصدرت من داخل المملكة، لم يجد بُدّاً من الترتيب لاغتيال (محمود شوكت باشا)، الذي دعم الشعور القومي العربي في كل المحافل الرسمية العثمانية بصفته الرسمية كوزير، وتمّ تليفق تهمة اختلاس عشرين ألف جنيهه عثمانى من الخزانة الحربية للبكباشي (عزيز على المصري) إبان الحرب مع الجيش الإيطالي عند احتلالها لولاية طرابلس الغربية وكامل الأراضي الليبية. ليتمّ سجنه شهرين والإفراج عنه ونفيه إلى الأراضي المصرية. فيجد في خديوي مصر (عباس حلمي الثاني) دعماً كاملاً سياسياً ومادياً لمواجهة المملكة العثمانية، ومساعدة العرب في الجزيرة على الاستقلال عنها، ولم يكن كل ذلك خفياً على المخابرات البريطانية العسكرية المدنية في المكتب العربي بالقاهرة. وقد حانت اللحظة الحاسمة، لتنفيذ جدول الأعمال المخبراتي المرسوم مسبقاً منذ سنوات، لتفتتت أهم ولاية من ولايات المملكة العثمانية في شبة الجزيرة العربية والشام.

(١٦)

المَعُولُ الْأَخِيرُ

فإِذَا خُيرَ بني آدمَ ما بين شهواتِ الجسدِ وسمو الروحِ، سيختارُ التَّمَتُّعَ
بمِلذاتِ الجسدِ رَغيدةَ الشعورِ الجميلِ، إلا من رحم ربي واصطفاهم،
يُضحون بكلِّ غالٍ ونفيسٍ حتى ولو كانتِ فلذة من كبده، في سبيلِ غايةٍ
أعلى وأسمى

٢١ نوفمبر عام ١٩١٣ م

أكد الشريف (حسين بن علي) على ابنه (عبد الله) نائب مجلس المبعوثين العثماني عن مكة، أن يبلغ (طلعت باشا) الصدر الأعظم نفسه، أن الضرائب الجديدة وموضوع التجنيد الإجباري غير مقبول تماما، ولا يمكن تنفيذه، كان خط سير (عبد الله بن الحسين) أن ينتقل من القنطرة شرق إلى قنطرة غرب، ومنها يستقل القطار حتى القاهرة، ويبقى عدة أيام في ضيافة الخديوي (عباس حلمي الثاني) في قصر عابدين حتى موعد الباخرة التي تمر في طريقها على الأستانة، وفي تلك الرحلة، وبعد أن نزل في قصر عابدين، وفي مساء ذلك اليوم وجد أن اللورد (كيتشنر) حاكم السودان والمعتّم البريطاني في مصر ومعه السير (رونالد ستورز) يرغبون في مقابلته، فرح كثيرا واستقبلهم في غرفة الاجتماعات الثانية في وجود الخديوي (عباس حلمي الثاني)، والذي كان قد أرسل في مقابلة اللورد (كيتشنر)

(ليخبره بشكوى (عبد الله) من تضيق المملكة العثمانية على أبيه شريف مكة ووالي الحجاز ودليل المسلمين في أرض الحجاز، وفي ذلك اللقاء تحرك اللورد (كيتشنر) بناءً على رغبة المدير الشرقي للوكالة البريطانية في مصر وعميل الاستخبارات البريطانية المميز (جيلبرت كلايتون)، فقد كانت لديه توجسات من عدم الاتصال بزعماء جزيرة العرب حفاظاً على مصالح بريطانيا في الخليج الفارسي والبحر الأحمر، في الوقت الذي تسعى فيها المملكة العثمانية لتشديد قبضتها على أطراف المملكة العثمانية، بعد أن بدأت تلوح في الأفق ثورات في دول البلقان وظهور مناوشات الأرمن المدفوعة من اليهود القاطنين منطقة القوقاز.

وبعد أن اختتمَّ المؤتمر العربي الأول فعالياته في الجمعية الجغرافية بباريس، جلس (فيصل بن الحسين) مع أصدقائه من جمعية العربية الفتاه وجمعية العهد وحصل على نسخة من كامل التوصيات المعلنة والتي لم تؤيدها بريطانيا وفرنسا أو تدعمها بل لم تعطِ لنتائج المؤتمر أي نوع من أنواع الاهتمام أو التقدير، وتلك التوصيات هي التي توافق مع بنودها وجلس مع أبيه الشريف (حسين بن علي) في وجود أخيه الأصغر زين لإعداد المذكرة التي ينوي عرضها على مجلس المبعوثين العثماني بصفته أولاً نائباً في المجلس عن جده، وثانياً كوكيل عن أبيه ووالي الحجاز وشريف مكة، تلك المذكرة التي كانت تطالب المملكة

العثمانية بإرساء مبدأ المساواة والعدل بين المواطن العربي والتركي داخل المملكة العثمانية وفي نفس العام كان حكم (عبد العزيز آل سعود) قد أُرسيت قواعده المتينة في نجد والأحساء وانضمت له الكثير من القبائل البدوية المؤيدة لحكم بيت آل سعود، ولم يفكر في تشتيت توجهه الكامل بمتابعة رسائل بريطانيا أو رسائل المملكة العثمانية وعمل على مماطلتهم سعياً لترسيم حدود مملكته.

وفي إبريل من عام ١٩١٤ م التقى (عبد الله) بن الشريف حسين للمرة الثانية باللورد (كيتشنر) بعد أن أرسل له ثلاث رسائل على يد (على أفندي أصغر) التاجر المصري بحي الجمالية ونسيب (حسين روي البهائي) المترجم بمكتب المندوب السامي البريطاني والذي اختاره بدقة ليأتمنه على حمل رسائل إلى (عبد الله بن حسين) من اللورد (كيتشنر).

وبعد أن وصلت ثلاث رسائل على يد (على أفندي أصغر) وتباحث (عبد الله) مع أبيه فقد قررا أن يذهب عبد الله إلى مصر للقاء اللورد (كيتشنر) لمتابعة الموقف، فبعد أن طلب عبد الله تأييد بريطانيا لاستقلال العرب عن المملكة العثمانية ومساندة الشريف (حسين بن علي) وأبنائه لإقامة دولة عربية مستقلة تشمل الحجاز وسوريا الكبرى منذ سنة كاملة ولم يتلق ردًا واضحًا منهم، ممَّا جعله يترث ويتناسى أن بريطانيا ربما تساند قضيتهم، ومع توتر الأحداث وظهور بدايات

تخلخل الحكم في المملكة العثمانية وكثرة ظهور الثورات العرقية والمطالبة بالنشوز عنها بأيدي المحافظ الماسونية والتي انتشرت منذ عام ١٩٠٨ وحتى عام ١٩١٤ في كل العالم بما فيها دويلات المملكة العثمانية ومع ظهور الفتن العرقية والتي أشعلت فتيلها جماعات اليهود والصهاينة لتفتت المملكة العثمانية حتى يستطيعوا إيجاد طريق لفلسطين، فقد توقف الشريف حسين بن علي عن التحرك نحو أي جهة منتظراً أن يتحين الفرصة للاستقلال بالحجاز .

وعندها جاء عرض بريطانيا مُمثلة في شخص اللورد (كيتشنر) لعبد الله بن حسين " ترى لو أيدناكم في حربكم على المملكة العثمانية لنيل الاستقلال وتأسيس دولة عربية ذات سيادة كاملة هل تكونون حلفاءنا، إن كان ذلك فمملكة بريطانيا العظمى تدعمكم بدعم استقلال العرب في دولة ذات سيادة مع مدكم بمبلغ سبعة ملايين جنيه ذهبية"

كانت كثرة الأحداث حول جزيرة العرب والخليج الفارسي وموجات التقلب في المملكة العثمانية هي ما جعلت الشريف حسين يتراجع نسبياً، حتى إنه أرسل يستشير ملك نجد والأحساء (عبد العزيز آل سعود) والذي أشار عليه بالمماطلة وعدم اتخاذ قرار حاسم في تلك الظروف، وعندما تأخر الرد كان لا بد من استقدام (توماس لورنس) للوقوف على حقيقة الموقف وتمّ استدعاؤه من الشام لعقد اجتماع سري وخاص في مقر المكتب العربي في القاهرة

- أهلاً أهلاً (توماس)

- أهلاً بك سير (كلايتون)

- هذا هو (رونالد ستورز) وهذا (مارك سايكس) و(هوجارث) وهذا هو العبقري (توماس إدوارد لورنس) عميل الاستخبارات وعالم الآثار الشهير.

- ندخل في صلب الموضوع، نحن الآن بصدد تشكيل مجموعة عمل تحت اسم العصاة المتطفلة والتي سيكون من أهم أدوارها تحقيق فعلي وملموس لخطتين: الأولى هي تفتيت كتلة دول الشرق الأوسط الموحد في لغة وثقافة ودين ، والثانية هي زرع فاصل بشري لمنع الالتقاء أو التوحد مرة ثانية وهذا الكيان كما يعلم جميعكم هو إنشاء وطن قومي للصهاينة في فلسطين ليدعم مصالح مملكة صاحب الجلالة ويبقى دائماً مكماً لطموحنا وتفوقنا المستقبلي.

- هل لديك آليات محددة للتنفيذ سير كلايتون ؟

- نعم يا توماس، يقف دورك الكامل في عمليات التجسس الكاملة بتأكيد الخرائط التي تحت أيدينا عن جزيرة العرب والبحر الأحمر وحتى إيران والعراق وبعدها مباشرة يستكمل دورك بإيجاد سبل لإشعال فتيل ثورة داخل الجزيرة العربية والشام والعراق نهدف بها نسف الوجود العثماني تماما من الواجهة المائية في الخليج الفارسي

والبحر الأحمر وساحل البحر المتوسط.

- لقد تمّ بالفعل للبدء في ذلك يا توماس وعليك أنت تحويل ما تمّ إلى واقع فعلي

- لدي كم هائل من الأفكار للسيطرة على ذلك وتحقيق الهدف سير (ستورز)

- لا تنس أن لي دوراً يمثل نفس دورك في الإطار الدولي يا (توماس)، سأتحرك فيه بناء على تقديرك للموقف.

- ستجد نتائج أفضل مما هو متوقع سير (سايكس)

- والآن عليكم جميعاً أن تستمعوا لتك المعلومات من سير (هوجارث)

-أولاً تمّ تحديد ساعة الصفر بدايةً من اليوم وكل فرد في المتطفلين يجب أن يقرّر بكل هدوء كامل خطواته بناء على مجريات الأحداث أمامه لأن التاريخ يقول: إن المسلمين إذا ما حدثتهم عن عقيدتهم تستطيع إخضاعهم لأهوائك مثلما حدث على مرّ التاريخ بداية من الدولة الأموية والعباسية والفاطمية حتّى وصلنا اليوم للدولة العثمانية والتي استمرت أكثر من أربعة قرون بفضل أنها كانت الخلافة الإسلامية وليست العربية أو العثمانية أو غيرها فسبب ثبات الدولة كان على أنها تتبع المنهج الإسلامي في الحكم وتقرر ما تريده من خلال الزج بالإسلام في كل قرار وكل فرمان حتى إنّ (عبد العزيز آل

سعود) سيطر على البادية في نجد والأحساء وأسس مملكته الحالية والتي تزيد يوماً عن يوم في التوسع والقوة من خلال الدعوة الإسلامية السلفية الوهابية والذي من أهم قوانينها وتشريعاتها باسم الإسلام هو مبدأ عدم جواز الخروج على الحاكم وهو بذلك ضمن لنفسه أن من يحاول الخروج عليه يوماً ما سيكون جزاؤه القتل بلا محاكمات ودون تأخير وفي الطرف الآخر الشريف (حسين بن علي) يلعب بنفس المنوال مستغلاً نسبه إلى رسول الإسلام محمد إذا كان هذا صحيحاً، هذا أولاً وثانياً الدعوة الإسلامية السنية والتي تسير على منهاج النبي والرسول كما يقل ، وبالتالي من لا يرضى بها يكون قد قتل بنسل النبي وهذا جرمٌ مشهود في العقيدة السنية .

وعلى الجانب الشمالي وعلى ساحل البحر الأبيض المتوسط فالدروز يستخدمون عقيدتهم المستسخة من الإسلام هي الأخرى للسيطرة على الطوائف التابعة لهم لحكم جزء من الشام، حتى الصهاينة واليهود يعملون بنفس المنوال على مستوى العالم مستغلين تشدد أحكام الدين اليهودي من خلال التلمود الذي يحكم عقيدتهم. وبناء عليه كان الخوف من أن يرغب عبد العزيز آل سعود أو الحسين بن علي في إقامة خلافة إسلامية بديلة للمملكة العثمانية مستغلاً الدين ولو حدث ذلك فستثور مصر والسودان والدول المسلمة في إفريقيا وتتبع تلك المملكة ولذلك يجب العمل ليس بالقرب منهم وإنما في داخلهم

للسيطرة عليهم وتوجيه تحركاتهم بما يناسب مصلحة مملكة صاحب
الجلالة فهؤلاء البدو مستعدون للقتل لنيل إمامة قبيلة واحدة وليس
مملكة كاملة وتاريخهم ممتلئ بالخianات والغدر على روابط الدم منهم
وربما يكون ذلك في صالحنا الآن فلو كانوا قوميون مثل المصريون
مثلاً لما استطعنا التوغل في أراضيهم والسيطرة عليها.

-درس ممتاز في التاريخ سير (هوجارث) شكراً لكم جميعاً، سأبلغ
لورد (كيتشنر) ولنبدأ في تنفيذ أولى الخطوات من الغد.

obeikan.com

(١٧)
الذريعة

عندما تعجز الوحوش الضارية عن اختراق القطيع بكثرتة العديدة فإنها ترسل صغارها للظهور بجوار القطيع حتى تفرع صغاره وتهرب دون تفكير فتفصل عنه وتتخلف فتكون بذلك فريسة سهلة يمكن الفتك بها وتمزيقها إلى أشلاء.

٢٨ يونيو عام ١٩١٤ م ، سراييفو

تمَّ تعيين جمال باشا والياً على العراق ليستمر في الحكم لمدة سنتين حتى عام ١٩١٢ م حتى شارك في انقلاب الباب العالي وتمَّ قنص الحكم بقوة السلاح بعد أن اكتشف وكل زملائه من الاتحاديين الماسونيين أن من يقومون على حكم المملكة قد ظهرت لديهم بدايات التخلي عن دول البلقان والتفريط في الجزء الأوروبي منها لصالح إمبراطورية النمسا والمجر واليونان فبعد أن استقلت بلغاريا وضُمَّت الإمبراطورية النمساوية صربياً ودخلت كريت تحت التاج اليوناني فقط تزعزعت هيبة المملكة وكان من الضروري القيام بانقلابٍ على أولئك العجائز كما أسماهم شباب الاتحاديين وقامت حروب جزئية على حدود المملكة الشمالية في بلاد البلقان خسرت فيها المملكة كثيراً من العتاد العسكري والدبلوماسي والرغبة الدولية وظهرت جماعات الأرمن في الجنوب تطالب بالاستقلال، لم يكن هناك سعادة أكثر من

سعادة اليهود في المحافل الماسونية، بعد أن توافقت أحلامهم مع رغبات بريطانيا وفرنسا وروسيا، والذين أعدوا العدة للانقضاض على جسد المملكة الممزقة سياسياً للنيل من أراضيها والثراء على حساب شعوبها.

وكان هذا التوافق في توحيد النية والعمل على فصل دول البلقان عن المملكة العثمانية، بدعم وعمل دؤوب من إمبراطورية روسيا بالتعاون مع مملكة بريطانيا وجمهورية فرنسا، والذي أدى في مجمله إلى دفع مملكة صربيا لإقامة تحالف مع مملكة بلغاريا والجبل الأسود ضد المملكة النمساوية المجرية وهكذا فعلت بلغاريا مع اليونان، ثم تم إضافة بنود سرية في نهاية عام ١٩١٣م للبنود الأساسية لتلك التحالفات أن تكون موجهة ضد المملكة العثمانية، وهو ما ظهر عندما اعتدى التحالف على حدود المملكة العثمانية، وحاول الانفصال والاستقلال رغم أنف جيشها الكاسح وتاريخها المهيّب، ووصلوا إلى السيطرة شبه الكاملة على شبه جزيرة البلقان بالكامل. وخسرت المملكة العثمانية معظم أراضيها في مقدونيا وشبه جزيرة البلقان بما فيها مدينة أدرنة المركزية داخل المملكة، وبعد شهرين اعتدت بلغاريا على حدود صربيا واليونان لضمّ مقدونيا الشمالية والجنوبية لأراضيها، فنشبت حرب استغلتها المملكة العثمانية واستردت جزءاً من أراضيها الأساسية داخل المملكة، ولم تحضر اتفاقية بوخارست بعد انتهاء الحرب والتي دامت أسبوعين

فقط، ونصت تلك الاتفاقية على ترسيم الحدود واستقلال كل من صربيا واليونان وبلغاريا والجبل الأسود ورومانيا، والتي بنيت بناء على العرق في الاستقلال وترسيم الحدود، وهذا التقسيم هو ما كانت ترغب فيه المنظمة الماسونية العالمية بقيادة اليهود. ولكن تلك الاتفاقية وكل الحدود التي رسمت لم تكن تُرضي الإمبراطورية النمساوية المجرية والتي كان لها أطماع توسعية في البلقان وظلّت على اتصال وافتعال سياسات في محاولات لنسف تلك الاتفاقية وعدم ترك موقع نفوذها في البلقان. ممّا دفع أعضاء جمعية (البوسنة الفتاة) والتي نشأت في عام ١٩١١ م لمواجهة الاحتلال النمساوي المجرى بالتعاون مع منظمة (اليد السوداء) التي أسسها الشاب الثوري (محمد أشرف فاروق) في صربيا بهدف توحيد الصرب ضد الاحتلال والقيام بعمليات عسكرية فردية وجماعية منظمة من أجل الوصول للاستقلال، في ذلك الوقت كان قد تقدم الطالب (غافريلو برينسيب) وزميله (تريفكو غاربيز) للالتحاق بتنظيم (اليد السوداء) للمشاركة في العمليات الميدانية وتنفيذ هجمات على أفراد جيش الإمبراطورية النمساوية المجرية إلا أن القائمين على التنظيم رفضوا طلب (غافريلو برينسيب) نظراً لأنه قصير القامة بينما تمّ قبول صديقه (تريفكو غاربيز) وفي يوم ١٨ من شهر يونيو لعام ١٩١٤ م وردت معلومة إلى مخبرات جمعية (البوسنة الفتاة) أن الأرشيذوق النمساوي (فرانز فرديناند) ولي العهد ووريث

عرش الإمبراطورية النمساوية المجرية وزوجته (صوفي) دوقة هوهنبيرغ في زيارة لمدينة سراييفو عاصمة البوسنة والهرسك والتي تتبع السيادة للإمبراطورية النمساوية المجرية للاحتفال بعيد (سانت فيتوس) والاطلاع على المناورات العسكرية بداية من يوم ٢٦ يونيو ولمدة يومين، ممَّا أوجد فرصة للشباب الثائر للإطاحة به في محاولة للتخلص من التبعية لإمبراطوريته ونيل الاستقلال، فكما عُرف عنه أنه إمبراطور مجحف وقاس وقاتل لا يعتبر أن عموم الشعب والطبقات الدنيا لها الحق في التعبير عن نفسها بل يجب العمل سياسياً فقط من خلال طبقة الأغنياء وهي الطبقة الحاكمة في إمبراطوريته ورغم كل التحذيرات التي وردت إلى قصره بالعدول عن هذه الزيارة نظراً لتأجج الأحوال السياسية داخل صربيا والبوسنة والهرسك وانتشار التنظيمات السرية المناهضة بالاستقلال واستخدام مبدأ الاغتيال كأساس للوصول لأهدافها، إلا أن عجزته منعه من تقبل الكلمات وأصرَّ على حضور المهرجان والاحتفال بعيد (سانت فيتوس) وهو العيد الذي يُقام بمناسبة حربين قاسيتين في تاريخ صربيا.

وبمجرد أن وردت المعلومة لقادة جمعية (البوسنة الفتاة) فتمَّ التنسيق مع تنظيم (اليد السوداء) لاغتياله وأسندت العملية للكولونيل (دراغويتن ديمتريفيتش) المعروف بالاسم الحركي (أيبس) داخل المنظمة، فجند أربعة أشخاص من طلاب المدارس المنضمين حديثاً

لمنظمة اليد السوداء وعلى رأسهم اثنين من الأعضاء المتمرسين وتمَّ الإعداد للتدريب على تنفيذ عملية الاغتيال في حديقة المتنزه القومي في مدينة بلغراد بصربيا وفي خلال ستة أيام وضعت الخطة الأولى والخطة الثانية الداعمة لها، وتمَّ تقسيم المجموعة المشاركة إلى مجموعتين، المجموعة الأولى مكونة من ثلاثة أشخاص هم: (نيديليكو كابرينوفيك)، (سيفيتكو بوبوفيتش)، (محمد باسيك) وهي المجموعة المقرر لها القيام بالتنفيذ باستخدام القنابل اليدوية المضادة للآليات العسكرية، والمجموعة الثانية من ثلاثة أشخاص تكون داعمة لها للحماية وتأمين الهروب في حالة فشل الخطة وهم: (غافريلو برينسيب)، (تريفكو غاربيز) و(فاسو كبريلوفيك) وقام كولونيل (آيبس) بوضع عنصر متمرس على رأس كل مجموعة من الثلاثة المشاركين وتمَّ تسليم كل عضو مسدس من نوع (ناجان) عيار ٦٢, ٧ ملمتر بخزينة سعة سبع طلقات وخزينة احتياطية ونظرا لان مدى الرمي لهذا المسدس البلجيكي المعدل في روسيا هي فقط ٥٠ متر وبعدها تفقد الطلقة مداها القاتل فتمَّ تسليم كل من: (نيديليكو كابرينوفيك) قائد المجموعة الأولى و (فاسو كبريلوفيك) قائد المجموعة الثانية، قنبلة يدوية من الطراز الدفاعي القابلة للتفتت الكامل روسية الصنع من طراز (رجو) والتي تعمل بصمامي تفجير ومهلة التأخير تبلغ ثانيتين فقط من نزع فتيل التفجير ونظرا لأن مداها

القاتل لا يزيد عن ٤٠ متراً وتزن ما يقرب من ٥٠٠ جرام فتمَّ إعداد الخطة بأن يتمَّ التردد لموكب الأرشيدوق (فرانز فرديناند) والمكوّن من ستة سيارات ويتمَّ إلقاء القنبلة أسفل سيارته المكشوفة أثناء المرور من الشارع الرئيسي لميدان الحمام في اتجاهه إلى قاعة الاحتفال الكبرى في وسط مدينة سراييفو وبعد التفجير ينقض الثلاثة أعضاء ويطلقوا الرصاص عليه للتأكد من موته. على أن يحدث الانسحاب فور التنفيذ إلى منزل (دانيلو إيليك) في نهاية شارع (فرانز جوزيف) بحي (يوييسا كوسيتش) وإذا ما تمَّ القبض على احد الأعضاء فالأفضل له الانتحار باستخدام قرص الزرنيخ بدلا من كم التعذيب الذي سيلقاه على يد الشرطة وقوات الحاكم العسكري.

وفي يوم ٢٨ يونيو من عام ١٩١٤ م وفي الساعة العاشرة صباحا تحرك موكب الأرشيدوق بعد الانتهاء من التهام الوليمة التي أعدت لاستقباله والاحتفال بزيارته في اتجاه قاعة الاحتفالات الكبرى للمشاركة في المهرجان المقام احتفالاً بالعيد وأثناء مروره بشارع (ميدان الحمام) في الناحية الشمالية من نهر (ميلجاكا) كان من بين الجموع أعضاء المجموعة الأولى وما أن اقتربت سيارة الأرشيدوق المكشوفة بلونها الأسود اللامع وظهر جالساً ناحية اليسار في ملابسه الرسمية وشاربه الضخم ووجهه الممتلئ وتجلس بجواره زوجته (صوفي) اندفع (نيديليكو كابرينوفيك) من وسط الجموع التي تنتظر مرور الأرشيدوق

وقذف بالقنبلة أسفل السيارة إلا أنه من شدة توتره فقد مرّت القنبلة بسرعة لتنفجر في إحدى سيارات الموكب والتي تتبع الأرشيدوق لحمايته، فأصيب طاقم ضباط الحراسة الإمبراطورية في السيارة بعد أن قلبت على جانبها وأصيب أكثر من ستة عشر مواطناً مدنياً كانوا ينتظرون مرور الأرشيدوق لتحيته واستطاع سائق سيارة الأرشيدوق أن ينطلق بسرعة كالبرق دون النظر للخلف بمجرد أن سمع دوي الانفجار وتبعته ثلاث سيارات من قوة الموكب بينما توقفت آخر سيارة من سيارات الموكب ونزل ضباطها ملوّحين بأسلحتهم لتهديد أي شيء يتحرك ناحيتهم وتفحصوا زملاءهم الذين قُذفوا خارج السيارة من شدة قوة الانفجار.

لم يستطع (نيدليكو كابرينوفيك) أن يهرب فلو تحرك سريعا لامسك به أفراد الشرطة المنتشرين في الشارع بالإضافة لضباط الإمبراطور. فلم يستطع إلا أن يُلقي مسدسه على الأرض وابتلع قرص الزرنيخ ليفارق الحياة في أقل من أربعين ثانية ويستطيع زملاؤه أن ينسحبوا وسط الجموع بهدوء دون أن يلحظهم أحد وسط ذهول الموقف ومحاولة إسعاف المصابين.

تقدم الحاكم العسكري لمدينة سرايفو بسيارته ومعه قائد الشرطة بالمدينة لقيادة موكب الأرشيدوق بأنفسهم بعد أن توقف في ناصية شارع (الحرب الثالثة) ولكن الأرشيدوق طلب أن يزور المصابين

بنفسه في المستشفى العسكري على ضفة نهر (ميلجاكا) لم يستطع الحاكم العسكري أن يرفض طلبه فالرفض معناه ضعف إمكانياته العسكرية في تأمينه، ورفض قائد الشرطة تماما وطالب أن يتجه الأرشيدوق إلى مقر البلدية مؤقتاً حتى يتم القبض على الإرهابيين. ولكن الحاكم العسكري رفض وعمل على تنفيذ رغبة الأرشيدوق والذي طالب بأن يطمئن على ضباطه وأن يكونوا في رفقته عند العودة بعد أن يتم علاجهم، ونظراً لاختلاف قائد الشرطة مع الحاكم العسكري فتم إقرار أن يكون خط السير في الشارع الموازي لنهر (ميلجاكا) فتأمينه الوقتي أسهل كما أنه إذا كان هناك مخططاً آخر من الإرهابيين لتتبع حركة سير الأرشيدوق ستكون بطبيعة الحال في الشوارع الرئيسية التي تم تأمينها بقوات الشرطة واتفقوا على أن يرافق موكب الأرشيدوق سيارتان من سيارات الشرطة في مقدمتهم سيارة قائد الشرطة نفسه وفي نهاية الموكب سيارة الحاكم العسكري ومعه سيارة تأمين مسلحة على أن لا يتوقف الموكب لأي سبب .

توجه الموكب يميناً من ميدان التقاطع الثاني ثم انزوى للسير في شارع (فرانز جوزيف) بمحاذاة النهر وتم الاتفاق على أن يعبر الموكب (الجسر اللاتيني).

كانت الأوامر الصادرة من الكولونيل (آيس) لأعضاء المجموعتين تنص على: تنفيذ عملية الاغتيال والانسحاب بهدوء إذا ما نجحت إلى

محيط خمسة كيلومتر والانتشار على أن يجلس كل عضو بمفرده بعد أن يخبئ مسدسه تحت طيات ملابسه سواء في مقهى لتناول القهوة وقراءة الجرائد أو الاتجاه لأقرب مطعم للاختلاط بالعامّة. وبعد فشل المحاولة الأولى بتفجير سيارة الأرشيدوق واغتياله، انسحبت المجموعة الثانية بأمر من قائدها لعدم التمكن من تكرار المحاولة لشدّ تأمين الموكب وتمّ تفعيل خطة الانسحاب المقررة. وبينما يجلس الطالب (غافريلو برينسيب) ذو التسعة عشر عاماً بقصر قامته وبراءة ملامحه ليحتسى قهوته على المقهى اللاتيني قبالة (الجسر اللاتيني) وجد الموكب يمر أمامه ونظراً للارتباك الملحوظ في خط سير الأرشيدوق فقد توقف الموكب قبل عبور الجسر لتمر إحدى سيارات الشرطة في عملية اختبار للجسر إذا ما كان قد تمّ تلغيمه بالمتفجرات، وقف (غافريلو برينسيب) وتوجه بكل هدوء نحو سيارة الأرشيدوق، وأخرج مسدسه (الناجان) وأطلق رصاصتين على صدر الأرشيدوق من مسافة مترين فقط وأطلق ثلاث رصاصات أخرى نحو زوجته ولكن فزعها هو ما جعلها تقف لتستقر طليقة واحدة في الناحية اليسرى من البطن لتدمر الكبد فتسقط فاقدة للحياة وقبل أن يوجه فوهة المسدس نحو رأس الأرشيدوق انقضّ عليه الحرس السائرون بجوار السيارة وتمّ القبض عليه واحتجازه في مقر البلدية لحين الانتهاء من التحقيقات .

وبعد خمس دقائق من الحادث توفي الأرشيدوق (فرانز فرديناند)

قبل الوصول للمستشفى العسكري، وتولت مخابرات الحاكم العسكري التحقيق مع (غافريلو برينسيب) بمقر بلدية (يوييسا كوسيتش) وكان على رأس التحقيق رئيس فرع الاستخبارات النمساوية والمشرف العام على البوسنة والهرسك (دونفان ايزيليتش) المعروف بصرامته وذكائه وسرعة بديهته. وهو الذي حذر الأرشيدوق من مغبة زيارة البوسنة والهرسك في ذلك الوقت.

يجلس (غافريلو برينسيب) على كرسي خشبي ذو ظهر طويل ومقيدةً يده بأصفاة حديدية تتصل بسلسلة حديدية حتى أصفاة قدميه، لقد أخفى قرص الزرنيخ في غلاف ورقي صغير تحت جورب قدمه اليمني، لم يستطع اتخاذ القرار سريعاً وأن يصل إلى هذا القرص ليتخلص ممّا سيصيبه من العذاب، ربما جُبنه الخاطف هو ما منعه، فقد أطلق الرصاص في جزء من الثانية وقبل أن ينظر أمامه للفرار وجد ضباط الأمن وعساكرهم ينقضون عليه. يبكي ألمًا من داخله وهو يتذكر رفض تنظيم (اليد السوداء) لقبوله عضوًا معهم لدعم قضية استقلال الصرب عن الإمبراطورية النمساوية المجرية .

فلو قبلوه عضوًا لاستطاع تلقي التدريبات النفسية الكاملة من أعضاء حزب اليسار الروسي الداعم لحركات الصرب في البلقان.

- ماذا أفعل ؟ لو أستطع فقط الوصول لذلك القرص!! ترى ماذا سيفعلون بي؟ هل أخطأت؟ لا لم أخطئ، لقد شاركت في تحرير بلادي

،لابد لنا من البزوغ من تحت طبقات الذّل والعبودية تحت رحمة أولئك الأغنياء، ماذا كنت سأفعل؟ وُلدت فقيرًا، وذُقت مرارة شظف العيش، مات إخوتي أمامي من السّل والجوع وعدم تلقي أية خدمات، لقد عاملوني وإخوتي وكل عرقنا على أننا عبيدٌ لديهم ليس لنا حق الحياة مثلهم، لم أخطئ، وسأتحمل حتى يستمر رفقائي لاستكمال مشوار التحرر.

- أتركونه جالسًا كالأمراء؟ أنت أيها الجندي .

- أوامرکم سيدي.

- جرّدوا هذه الحثالة من الملابس واجعلوه عاريًا تمامًا.

- هو سؤال واحد أيها المناضل، مَنْ هم شركاؤك؟ وأين تجتمعون؟
ولصالح من نفذتمّ الاغتيال؟

- لا أعرف شيئًا.

- لا تعرف شيئًا!؟

- ماذا وجدتمّ في ملابسه الفخمة كطالب مهذب؟

- لا شيء سوى بطاقة التعريف ومسدس (ناجان) المستخدم في الاغتيال وخزينة طلقات وقرص زرنیخ وعدة فلسات.

في حوالي الساعة الثانية ظهرًا وبعد ساعتين من تعذيب جسده الهزيل

وبعد أن فقد ذراعه اليمنى والتي اغتالت الأرشيدوق، فقد علقَّ منها واستمرت عمليات الشد حتى انفسخ مفصل الكتف تماما، اعترف (غافريلو برينسيب) بكل ما يعرفه وأبلغ بأسماء المشاركين ومكان الاجتماعات وكيفية الإعداد للاغتيال ولكنه لا يعرف من أين أتى المسدس، فقط هو تسلمه من قائده الكولونيل (آيبس).

تمَّ الإعداد لدفن الأرشيدوق وزوجته في جنازة سريعة وبسيطة وتمَّ القبض على رفقائه في اغتيال الأرشيدوق وتحت التعذيب جمعت المعلومات التي أكدت لرئيس فرع الاستخبارات النمساوية المجرية أن الأسلحة تهرب من روسيا إلى صربيا ويتمُّ مد الإرهابيين في تنظيم (اليد السوداء) و (الاتحاد أو الموت) بكامل الوسائل التدريبية والخرائط والمعلومات لتقويض حكم المملكة النمساوية المجرية وأكثر من ذلك أن بعض المعلومات كانت تسرب من إدارات الشرطة الداخلية ممَّا أكد أن رئاسة الوزراء في البوسنة والهرسك وصربيا كانت على علم باغتيال الأرشيدوق بل ولم تعهد إلى القبض عليهم بل أيديهم وتركتهم مطلقي الأيدي.

وبناء على تلك التقارير، اتصل الإمبراطور (فرانز جوزيف) إمبراطور النمسا والمجر بحليفه (فيلهلم الثاني) إمبراطور ألمانيا وملك بروسيا، لتأديب صربيا وتمَّ الاتفاق على إعداد مذكرة من عشرة بنود تقضي بنزع سلاح تنظيم (اليد السوداء) والقبض عليهم ومنع عمليات تهريب

السلاح والسماح للشرطة النمساوية في التحقيق مع المقبوض عليهم وملاحقة التنظيمات العرقية في ثلاثي دويلات البلقان وتمكين سلطات الإمبراطورية النمساوية المجرية من إدارة حكم المدن بالتعاون مع الإدارات المحلية. وفوضت إمبراطورية النمسا والمجر ميليشيا (فيلق الحماية) لملاحقة الصرب والقبض عليهم، وتمت عمليات موسعة وصلت إلى القبض على أبرز العاملين في الحقل السياسي الصربي، استخدمت ضدهم مبادئ الاضطهاد والتنكيل وقبل أن تشرق شمس اليوم الجديد، كانت كل مُدن صربيا بها أفراد من ميليشيا (فيلق الحماية)، وفي غضون أسبوعين بلغَ عدد المقبوض عليهم ما يقرب من ستة آلاف صربي، وُضعوا في السجون، وقتل ما يقرب من ألفين منهم أثناء التعذيب والتنكيل وتمَّ الحكم رسمياً على سبع مائة منهم بالإعدام الفوري كانت أكثريتهم من المسلمين والذين اضطهدوا واتهموا بالعمل في تنظيم (اليد السوداء)، وتمَّ تقديم المذكرة لحكومة صربيا يوم الثامن والعشرين من يوليو، وعندما رفضت صربيا بندين من العشرة بنود في المذكرة المقدمة دبلوماسياً، أعلنت إمبراطورية النمسا والمجر الحرب على صربيا ولم تمر ثلاثة أيام وفي أول أغسطس أعلنت إمبراطورية ألمانيا الحرب على صربيا متحالفة مع إمبراطورية النمسا والمجر، وفي نفس الوقت عبأت إمبراطورية روسيا قواتها العسكرية دفاعاً عن العرق الصربي الذي يُعد الفصيل الشرقي

من العرق السلافي الذي تنتمي له روسيا وترعاه وتشمله بحمايتها السياسية منعاً لفرض الإمبراطورية النمساوية المجرية هيمنتها على بلاد البلقان كما أن كل التقارير الاستخباراتية الروسية كانت تؤكد طموح إمبراطورية ألمانيا في التوسع في بلاد البلقان والسيطرة عليها خصوصاً أنها حليفة المملكة العثمانية والتي كانت تحتل تلك الدول.

هددت إمبراطورية ألمانيا الإمبراطورية الروسية بتفريغ حالة التعبئة العامة في قوتها العسكرية فقبلت إمبراطورية روسيا بنص شروط للتفاوض حول دول البلقان ولكن إمبراطورية ألمانيا رفضت فكرة التفاوض وأعلنت الحرب رسمياً على الإمبراطورية الروسية. وقررت تنفيذ خطة قائد القوات السابق (خطة شليفن) لنشر القوات على جبهتين في نفس الوقت وتحقيق الانتصار الأولي على فرنسا ثم روسيا للفوز بتوسيع رقعتها الاستعمارية في منطقة شرق البحر البلطي وتمكين السيطرة على الجزر المستعمرة في المحيط الهادي. وطالبت ألمانيا فرنسا بأن تكون محايدة في الحرب ولكن فرنسا عبثت قواتها العسكرية وبقيت ثابتة على بعد عشرة كيلومترات من الحدود إلا أن ألمانيا احتلت المملكة الصغيرة لوكسمبورج وأعلنت الحرب على فرنسا حليفة روسيا وحاولت الوصول لعمق فرنسا للقضاء عليها من خلال بلجيكا والتي قد أعلنت أنها دولة محايدة وليس لها ناقة ولا جمل في الحرب الأوروبية التي بدأت تزدهر شراراتها فأعلنت ألمانيا الحرب على بلجيكا للمرور

من خلالها إلى فرنسا قبل أن تستطیع الإمبراطورية الروسية تحريك قواتها نحو ألمانيا.

- أريد نتائج موجزة يا جيمز

- سيدي، النتائج كما يتضح الآن من كل تقاريرنا السرية هو أن فرصتنا الآن سانحة للانقضاض والقضاء على المملكة العثمانية وإمبراطورية ألمانيا في آن واحد مع دعم عمليات التحرر والاستقلال داخل الأراضي التي تستعمرها ألمانيا والمملكة العثمانية لتحتاج فيما بعد لحمايتنا.

- إذا ؟

- يجب إعلان إنذار رسمي الآن لإمبراطورية ألمانيا بالتراجع عن احتلال بلجيكا وعدم خرق حالة الحياد التي التزمت بها.

- وإن لم يكن ؟

- وإن لم يكن، فلا مناص من إعلان الحرب عليها وسحقها كما تسحق دودة صغيرة أسفل حوافر حصان اسكتلندي عريق يخدم في كتيبة الفرسان الملكية البريطانية.

- شكرًا يا جيمز واحتاج منك غدًا على الأكثر تقريرًا تفصيليًا من عملائك في منطقة الشرق الأوسط والخليج الفارسي والجزيرة وجنوب المملكة العثمانية بالإضافة إلى تقرير بلاد البلقان.

- علم و نفذ يا سيدي. معذرة

- لا.. فلنتنظر لحضور اجتماع رئاسة الأركان الملكية.

- أوامركم يا سيدي.

- الآن أيها السادة بما لكم من خبرة عسكرية ميدانية وحنكة سياسية في قيادة العمليات داخل المستعمرات أريد وجهة نظر واضحة ومباشرة للوضع القائم وحجم النتائج المتوقعة في حالة دخولنا الحرب على أكثر من جبهة لتحجيم إمبراطورية ألمانيا والقضاء على المملكة العثمانية نهائياً.

- ملخص النقاش يا سيدي رئيس لوزراء وصلنا فيه إلى إعلان الحرب بشكل رسمي وتفعيل الحركة العسكرية على مسرح العمليات القتالية في جبهة أوروبا وإفريقيا وجزر المحيط الهادئ وتوسيع مسرح عمليات البحرية الملكية للسيطرة على المياه العالمية.

- النتائج بالأرقام سير (وليام) لو سمحت

- في حالة فتح الجبهات الأربع متوقع أولاً إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط ودول البلقان ودول شرق أوروبا وثانياً أن يتضاعف نفوذنا التوسعي في كل الجبهات. الخسائر المتوقعة نسبة لا تقل عن عشرون بالمائة من حجم كتلة الجيش البريطاني وحوالي ستين بالمائة من حجم كتلة الجيوش الداعمة لنا من المستعمرات والمحميات البريطانية.

- لا يمكنني القبول بتلك الأرقام سير (وليام) !

- للأسف لا يمكن ضمان التفوق بدون تلك المجازفة يا سيدي فالإمبراطورية الألمانية كما عهدناها لن تلتزم بأي موثيق وستعمل جاهدةً على احتلال وسط أوروبا حتى ولو فقدت أكثر من أربعين بالمائة من حجم الجيوش سواء في الأفراد أو المعدات وكما هو معروف لدينا فهم يطورون السلاح بازدياد ملحوظ ويدخلون آليات جديدة في الاستخدام العسكري.

- وماذا لدينا نحن؟ أليس لدينا أقدم أكاديمية للعلوم، جنرال جيمز..
- أوامركم سيدي.

- فلتشرف بشكل مباشر وتوجه كافة الأبحاث العلمية الجارية لتطوير كل سبل التسليح.

- علم وينفذ من اللحظة يا سيدي.

- إذا سنعلن الحرب ولكن سنعتمد على حركة جهازنا الاستخباراتي الأول (ميم ستة عشر) بقيادة جنرال (جيمز ستانلي).

- سيد (تشرشل) كل الدعم المطلوب لتطوير البحرية الملكية متوفر ومتاح عند انتهاء الاجتماع، اعمل على التنسيق مع مدير مكنتي.

- وأرسلوا في طلب جنرال (كيتشنر) ليشارك في الحرب فلديه خبرة

لا يستهان بها كقائد عام لمستعمرات البحر الأحمر وانتصاره المشرف
في السودان والحبشة لا يُنسى.

- علم وينفذ يا سيدي

obeikan.com

(١٨)

ذُؤبانُ العرب

سألُ لعابك وأنت تهضو إلى أن تزأر ونسيت أن العيب ليس فقط في
الفيكين، فقد دعوت بثغائك المستكين ذُؤبان البرية ويا ليتك كنت من
ذُؤبان العرب، بل عُمروسُ نحيل، يتلذذون بضعفك.

١٤ يوليو عام ١٩١٥ م، القاهرة

وبعد أن اشتعلت شرارة الحرب العالمية من سراييفو بالبوسنة والهرسك، وبدأت أزمة يوليو الدبلوماسية بين إمبراطورية ألمانيا، صربيا، الإمبراطورية الروسية، مملكة بريطانيا العظمى وجمهورية فرنسا، أرسل اللورد (كيتشنر) مرة أخرى إلى (عبد الله بن الحسين) ما نصه رسالة وردت إليه من وزارة الخارجية البريطانية " " إذا قامت الأمة العربية بمساعدة إنجلترا في هذه الحرب التي اضطرتنا إليها الأتراك فإن مملكة بريطانيا العظمى تضمن عدم التدخل في جزيرة العرب وسوف تقدم إلى العرب كل مساعدة في وجه الاعتداء الخارجي وربما يعتلي عربي سُدَّة الخلافة في مكة والمدينة وبهذا ينجم الخير بمشيئة الله عن الشر الذي يقع الآن، وإنه إذا كان أمير مكة مستعدًا لمساعدة بريطانيا العظمى في هذا الصراع فإن بريطانيا العظمى مستعدة تقديرًا واحترامًا منها لمنصب الأمير حسين لأن تضمن للشريفة

استقلالها وحقوقها ومزاياها ضد كل اعتداء خارجي وبالأخص من العثمانيين، لقد دافعنا عن الإسلام حتى الآن في شخص الأتراك لكننا سندافع عنهم من الآن فصاعدًا في شخص الجنس العربي الكريم".

ومرّت ثمانية أشهر كاملة دارت فيها رحى الحرب العالمية، وأصبحت كل دول العالم مشغولة بما يحدث في بلجيكا وفرنسا، وانشغلت كل قومية بالبحث عن مستقبلها فيما بعد الحرب، وكما ظهر في الشهور الأولى للحرب أضح أن مملكة بريطانيا العظمى قد تمّنى بالخسارة في تلك الحرب، وتكون الغلبة للمملكة العثمانية وحليفاتها الإمبراطورية الألمانية. ممّا دفع السيد (جيمز ستانلي) رئيس جهاز (ميم ستة عشر) الاستخباراتي البريطاني للضغط على عملائه في مصر للعمل على الضغط على الجزيرة العربية للجوء لبريطانيا كحليف وليس عدوًا، وبعد أن تسلّم المنسوب السامي البريطاني الجديد مهام منصبه في القاهرة (السير مكماهون) عملَ على الاتصال الفوري بالشريف (حسين بن علي) لاستكمال وعد بريطانيا باستقلال العرب إذا ما أيدوا بريطانيا في الحرب العالمية ضد المملكة العثمانية، وجاء نص رسالة (مكماهون) "إنّ الحكومة البريطانية من شأنها أن تفرض شروط السلام بعد انتصارها في الحرب ضرورة بقاء الجزيرة العربية وما فيها من أماكن إسلامية مقدسة في يد دولة مستقلة ذات سيادة على أنه لا يتسنى في الوقت الحالي تحديد الأراضي التي

ستضمّها تلك الدولة". مما دفع الشريف (حسين بن علي) إلى التفكير الجدي في مراسلة (مكماهون) والتي بدأت في يوليو من عام ١٩١٥ م وأرسل أول رسالة مع مندوب خاص يؤتمن له، وكانت تلك الرسالة الأولى هي محور القضية كلها ففيها طلب أن تؤيد مملكة بريطانيا إقامة دولة عربية مستقلة ذات سيادة كاملة على أن تكون حدودها من "مرسين - أذنه، حتى الخليج الفارسي شمالاً ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقاً، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوباً يستثنى من ذلك عدن التي تبقى كما هي - ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى سينا غرباً." هكذا رسم حدود الدولة العربية الراغب في إقامتها على أن تقام على أراضي آسيا العربية كلها، تلك الأطماع هي ما أكدت كل المعلومات الاستخباراتية المتوفرة في المكتب العربي بالقاهرة والتابع لسلطة مملكة بريطانيا العظمى، إنه يجب التدخل الآن وبقوة لضم العرب إلى صدر مملكة صاحب الجلالة وتقويتهم ودعمهم لقتال المملكة العثمانية على أن تكون كل الخطوات مدروسة بدقة لضمان تحقيق مصالح بريطانيا في كل وقت. فبعد نشوب الحرب العالمية وانضمام المملكة العثمانية للإمبراطورية الألمانية رسمياً مُعلنة الحرب على الإمبراطورية النمساوية المجرية قد قامت بريطانيا بالتضييق على حدود المملكة العثمانية في الحجاز وتحديداً في البحر الأحمر مستغلة تواجد أسطولها البحري لمنع الإمدادات والضغط

عليها لتقويضها وكان من نتيجة ذلك أن قطعت الطرق لرحلة الحج من مصر ممّا سبّب خسائرَ كبيرة في الحجاز لكل قاطنيها والذين كانوا يعتمدون على الرواج الاقتصادي المصاحب لإقامة الشعائر المقدسة من قبل الحجاج وبالأخص المصريين والذين كانوا يفتتحون موسم الحج في كل عام بموكب المحمل الشريف وهو مكوّن من ست وأربعين ناقّة تحمل كسوة الكعبة والتي تتبرع بها الخزينة المصرية كل عام بالإضافة لكميات كبيرة من المؤن والسلع والحبوب والتي كانت تدعم الحالة الغذائية لأهل الحجاز على مدار العام وعندما ضيقت بريطانيا الحدود مُنعت كل ذلك وسادّ الجوع في هذه السنة الحجاز واضطر بعض أهاليها القاطنين مكة والمدينة من بيع أثاث منازلهم لشراء الطعام، ورغم أن بريطانيا فعلت ذلك باغيةً الضغط على المملكة العثمانية إلا أن نتائجه أيضاً صبت في مصالحهم عندما انتشر الجوع وتوقف الاقتصاد الحجازي في نفس العام كان له بالغ الأثر في اتخاذ الشريف (حسين بن علي) قرار التعاون مع بريطانيا.

وبعد الرسالة الأولى والتي وصلت إلى السير (هنري مكماهون) والتي كانت تتلخص في طلب التأييد لإقامة دولة عربية مستقلة على أراضي آسيا العربية وطلب المدد من المؤن والحبوب من الخزينة المصرية

- ترى هل نرسل له تلك الحبوب والمؤن سير (كلايتون)؟

- نعم سير (مكماهون) نرسلها بالفعل ونؤيد فكرة استقلالهم وإقامة

دولة عربية ولكن ترسيم الحدود التي يطلبها فيها الكثير من المغالاة والطمع.

- من أين لنا أن نعهده بكل هذه الأرض وإذا كان يتخيل أن هذا ممكن فلماذا نساعده إذا وما هي الفائدة إذا أعطيناها تلك الأرض ؟

- إنه رجل طمّاع يا سيدي ويتعلل بنسبه وتأيد بعض القبائل حوله كما أنه شغوف بالألقاب بشكل غريب.

- إذا اكتب أنت ردك عليه ولنرى بعدها يا سير (كلايتون)

- يتم بالفعل يا سيدي وأيضاً أنا فعلاً بدأت في تنفيذ عملية (العصابة المتطفلة) منذ شهور وأولى النتائج كانت مع قدمكم لنيابة صاحب الجلالة هنا في مصر.

- وما هي ؟

- إنها نتائج أولية سيترتب عليها الكثير خلال الأعوام القادمة بالتزامن مع تطور أحداث الحرب.

- قل يا سير (كلايتون) ووضح ولن أَدْخُل في خط سير إدارتك للعملية لا تقلق.

- أولاً بعد أن يصل ردكم على رسالة الشريف (حسين بن علي) فمن المؤكد سيجمع قادة العرب من حوله ويستشيرهم وبعدها يرد علينا

وغالباً سيرفض ويطالب بتأكيد تمكينه من الحدود التي يطلبها وبناءً عليه يجب مماطلته أطول فترة ممكنة لتنفيذ مراحل خطتنا، ثانياً إن العقيد (مارك سايكس) يعمل الآن على تنفيذ خطوة سيكون لها صدًى كبيراً في تفعيل خطتنا على أرض الواقع وسيترامن ذلك مع ردمكم على ردّ الشريف حسين خلال الثلاثة أشهر القادمة وبعدها يمكنني إبلاغكم بمراحل فعلية تصب في مصلحة مملكة صاحب الجلالة.

- أثق في قدرتك يا سر(كلايتون) إذا فلتكتب الرد وتعلمني بمجرد الانتهاء منه.

استمرت المراسلات ما يقرب من ثمانية أشهر تمّ خلالها التنسيق لوضع اليد بشكل قانوني على أرض الجزيرة العربية والخليج الفارسي وتمكين التواجد في البحر الأحمر وقناة السويس.

ونظراً لذلك فقد قامت جمهورية فرنسا بإسناد منصب المندوب السامي الفرنسي لشئون الشرق الأدنى إلى السيد (فرنسوا جورج بيكو) لما له من حنكة وخبرة سياسية على أن تكون أولى أعماله هي تحديد المكاسب الاستعمارية لجمهورية فرنسا مع مملكة بريطانيا، فبعد فشل معركة الجيش الإنجليزي في ممر الدرنديل أمام القوات العثمانية وفشلهم أيضاً في السيطرة على العراق ومطالبة اللورد(كيتشنر) وزير شئون الحرب البريطاني بزج أكثر من مائة ألف

جندي من ميناء الأسكندرونة بالقرب من حدود المملكة العثمانية فقد انتاب القلق الأوساط الدبلوماسية الفرنسية خوفاً من أطماع مملكة بريطانيا في الحرب العالمية للسيطرة على الشريط الساحلي للبحر الأبيض المتوسط ممّا يقوض وجودها في الشام وعلى الجهة الأخرى فقد تحركت الأوساط الدبلوماسية الروسية والتي أعلنت الحرب على المملكة العثمانية وإمبراطورية ألمانيا طمعا في الجانب الشرقي من حدود المملكة العثمانية وبعض الدويلات قرب القوقاز والتي تقع تحت السيادة العثمانية.

- إلى ماذا وصلتتم؟

- كما توقعنا وأكثر (كلايتون) لقد راسلت (فرنسوا بيكو) و(سازانوف) لمدة شهراً كاملاً حتى تمّ لقاءنا هنا في القاهرة في مقر القنصلية الروسية. وتمّ الاتفاق على تقسيم مناطق النفوذ والمصالح الاستراتيجية في الهلال الخصيب بشكل لم أكن أتوقعه .

- النتائج يا سايكس !!

- منذ بدأنا الجلسة وقد لاحظت القلق الذي يظهر في كلمات بيكو و سازانوف واستطعت استغلال الموقف إلى أقصى قدر ممكن وخرجنا بالتالي: أن تكون ولاية أضنة وغرب سوريا ولبنان من حق فرنسا، ومنطقة جنوب ووسط العراق بما فيها مدينة بغداد ومينائي عكا وحيفا في فلسطين من حق بريطانيا، وأن يكون شمال كردستان والولايات

الأرمينية في المملكة العثمانية من حق روسيا على أن يكون مضيق البوسفور مفتوحًا للملاحة البحرية بحرية وأن تستخدم فرنسا مينائي عكا وحيفا بحرية وبالمثل تستخدم بريطانيا ميناء الإسكندرونة وأن يكون من حق روسيا الدفاع عن المسيحيين الأرثوذكس في منطقة فلسطين.

- فقط ؟

- ماذا تقصد ؟

- ماذا عن الشريف (حسين بن علي)

- أعذرني (كلايتون) فأحساسي بالانتصار لمصالح مملكة صاحب الجلالة أنستني هذا البند، بخصوص إقامة دولة عربية، فتمّ الاتفاق على إقامة دويلات عربية مستقلة أو دولة عربية موحدة في المنطقة المحصورة بين نفوذ بريطانيا وفرنسا ويشمل ذلك النفوذ أن يكون هناك انتدابًا فرنسيًا حاكمًا شرق سوريا وولاية الموصل وأن يكون الانتداب البريطاني الحاكم من شرق الأردن وحتى حدود إيران مرورًا بالجزء الشمالي من ولاية بغداد العثمانية.

- واليهود ؟ سايكس !

- اليهود والصهاينة تمّ إقرار أن يكون وطنهم في الجزء الخاضع لانتداب دولي مشكل من حكومات الدول الاستعمارية التي لها مصالح

في الشرق وهو الجزء الساحلي المتبقي من فلسطين.

- هل تمَّ الاتفاق الفعلي والكامل على كل ذلك ؟

- نعم وتمَّ التوقيع وأسميناها اتفاقية القاهرة السرية ووقعت بالأحرف الأولى ولكن (سازانوف) طلب بعد استشارته رأي وزارة الخارجية في مدينة (سانت بطرس برج) أن يكون لنا لقاء نهائي هناك للتوقيع النهائي ووضع الاتفاقية قيد التنفيذ بلا تراجع.

- نحن الآن في نوفمبر ومراً على دخولنا الحرب العالمية أكثر من سنة ونصف يا سايكس، متى سيكون لقاءكم هذا ؟

- غالباً في مارس ١٩١٦ م.

في مارس تمَّ تأجيل اللقاء شهرين نتيجة المطالبات بتشكيل حكومة جديدة في بريطانيا قادرة على مواجهة الحرب وتغيير القيادات الميدانية حول المستعمرات، ليأتي السير (لويد جورج) رئيساً لوزراء الحكومة الائتلافية الجديدة ويشيد بأعمال العصاة المتطفلة في الجزيرة العربية لإنهاء حكم المملكة العثمانية تماماً من تلك المنطقة وبسط النفوذ البريطاني كما أنه أعجب بتقرير الرائد (توماس لورنس) حول إشعال ثورة عربية فعلية في الجزيرة هو ما يحقق تفتيت وإنهاء حكم المملكة العثمانية فعلاً وليس التدخل العسكري المباشر كما طلب ميجور (بريود) رئيس التجريدة الفرنسية في مصر. وبعد

أيام من شهر إبريل التقى (سايكس) البريطاني، (بيكو) الفرنسي و(سازانوف) الروسي في مدينة سانت بطرس برج وتمّ إقرار البنود الذي تمّ الاتفاق عليها في القاهرة وأصبحت اتفاقية رسمية سرية موقعة بشكل دبلوماسي ملزم وسميت اتفاقية (سايكس - بيكو) لتقسيم أراضي منطقة الهلال الخصيب .

obeikan.com

(١٩)

الثعالب

لا تلومنَّ ثعلباً قد خطف من القُنَّ عدةَ دجاجاتٍ، فقد تركت بابه غير
مُوصدٍ بإحكامٍ ورحتَ في نوبةٍ من النَّومِ العميقِ، وإذا ما طَالَ نومُك
فسيعود وكل قطيعه ليتركوا لك القُنَّ خاليًا.

انضمت جيوش مملكة بريطانيا للدفاع عن جمهورية فرنسا على أرض بلجيكا ضد إمبراطورية ألمانيا ودفعت بجيوشها من مصر عبر قناة السويس والبحر الأحمر لقتال الجيش الثالث الألماني والحاكم في منطقة وسط أفريقيا. بينما انتصر جيش صربيا على جيش الإمبراطورية النمساوية المجرية في معركتين متتاليتين. ممّا دفع ألمانيا إلى طلب دخول المملكة العثمانية إلى الحرب العالمية كحليف لها وفتحت المملكة العثمانية جبهاتها في اتجاه بلاد البلقان لصالح الجيش الألماني وتعاونت على الضغط على جيش صربيا وأغرّت ألمانيا بلغاريا لدخول الحرب إلى جوارها مع وعدّها بزيادة رقعتها الاستعمارية في بلاد الجوار لها. فانضمت لدول المركز بينما انضمت كندا إلى دول الحلفاء مع بريطانيا وفرنسا وروسيا ثمّ وعدت بريطانيا الإمبراطورية اليابانية بتترك جزر المحيط الهادي لها والتي تسيطر عليها ألمانيا إذا ما انضمت إليهم في الحرب وقبِلت اليابان وفتحت جبهة قتال على

ألمانيا في المحيط الهادي وزادت أطماعها أن دخلت إمبراطورية الصين وسيطرت على خطوطها الحربية وضمتهـا إلى إمبراطوريتها أثناء الحرب وكانت بذلك أول دولة تنضم للحرب العالمية وتكسب أراضي وتوسع رقعتها الاستعمارية مما زاد غضب بريطانيا وطالبتها بالعدول عن رغبتها في ضمّ أراضي الصين بشكل كامل إلى سيطرتها وتمّ الاتفاق على وضع الصين تحت الحماية البريطانية طوال مدة الحرب بينما أرسلت بريطانيا جيشاً من اللواءات البحرية إلى شرق البحر المتوسط وطالبت اليونان بدخول الحرب إلى جوارها فرفضت اليونان في بادئ الأمر نظراً لاقتناعهم بالتفوق العسكري الألماني إلا أنه بعد الضغوط التي مارستها بريطانيا اضطرت اليونان لتأييد دول الحلفاء دون الدخول في حرب على الجبهة وأصبحت بريطانيا على بعد كيلومترات من حدود المملكة العثمانية ودعمت جيش الإمبراطورية الروسية في حرب البلقان فقامت المملكة العثمانية بضرب جبال القوقاز في روسيا ودمرت خطوط الطرق البريطانية في الهند مما اضطر بريطانيا إلى إرسال فرقة مسلحة لدخول بلاد ما بين النهرين في منطقة (الكوت) لتهديد المملكة العثمانية ولكنها منيت بالخسارة والحصار الذي دام خمسة أشهر كاملة حتى استسلم القائد الإنجليزي وسلّم قواته وأسلحته ممّا كان له أثر بالغ في نفوس الأركان البريطانية من الهزيمة المذلة فبعد أن أرسلت بريطانيا عمليها السريين (توماس

لورنس) و (وآدبري هربرت) ومعهم مبلغ مليوني جنيه إسترليني لمساومة المملكة العثمانية على فك الحصار، فعمدت إلى استخدام عملائها السريين بالتعاون مع الاستخبارات الروسية لدفع الأرمن في الخروج والمطالبة بالاستقلال عن المملكة العثمانية وقد تحركت جموع الأرمن في ثورة مستغلة ظروف الحرب العالمية للاتفاق مع الميليشيات الروسية المسلحة إلى ولايات الأناضول الشرقية وقامت بقتل سكان قرية كاملة من المسلمين وعملت على طرد الباقين وتهجيرهم نحو عمق المملكة العثمانية مما استلزم أن يتحرك (أنور باشا) قائد الجيوش العثمانية لمحاربة الجيش الروسي ولعدم حكمته وتريته في اتخاذ القرارات خسر أكثر من سبعين بالمائة من عدد الأفراد وأكثر من تسعين بالمائة من العتاد العسكري فعاد يجر أذيال الخيبة، وعلى الجبهة الأخرى توجه (جمال باشا) بجيشه من أراضي الشام نحو خليج العقبة للوصول إلى قناة السويس بهدف قطع طريق إمدادات الجيش البريطاني وبعد أن أصدرت المملكة العثمانية فتوى إسلامية بضرورة القتال لكل الجاليات العربية تعاوناً مع المملكة العثمانية خلافة المسلمين في مواجهة قوى الاحتلال الاستعمارية الإمبريالية الهادفة لتفتيت حكم المسلمين والقضاء على حكمهم للأبد، إلا أن كره العرب حول ولايات المملكة العثمانية منعهم من التحرك لمؤازرتهم والتعاون معهم مما نتج عنه أن خسر جمال باشا في معركة الرمانه

على خليج العقبة أمام جيش بريطانيا المشكل من القوات متعددة الجنسيات وعاد إلى الشام وصبَّ جَمَّ غضبه على الضباط العرب ونقلهم إلى جبهات القتال الضارية وضيَّق عليهم وقبض على أكبر أبنائهم وضمَّهم للجيش العثماني بالقوة والإجبار ممَّا أوجَّ مزيدًا من الكُره للملكة العثمانية وجعلَ بوادر الأطماع الداخلية لدي ورثة الإمامة في جزيرة العرب تتزايد طمعًا في أن يستقلوا عن المملكة العثمانية ويكونوا دويلات خاصة بهم يجلسون هم على رأسها كملوك مُنعمين حتى ولو اضطروا إلى خيانة الرابط الذي يجمعهم مع المملكة العثمانية وهو رابط القومية من الناحية الجغرافية والتاريخية والرابط العقائدي من ناحية الدين الإسلامي ويتعاونوا مع دول استعمارية هدفها الأول هو توسيع الرقعة الاستعمارية لمزيد من النفوذ الاستراتيجي والتحكم في ثروات العالم وامتصاصها لصالحهم.

لم تجد إمبراطورية ألمانيا بُدًا من استخدام كل سُبُل التطوير العلمي في الحرب وكانت من ضمن نتائج البحث تطوير أسلحة في شكل غاز يشلُّ الأعصاب وغاز يشوِّه ويحرق اللحم البشري، وقامت باستخدامه في مواجهاتها مع القوات الفرنسية البريطانية على كل الجبهات سواء في أوروبا أو في إفريقيا وتلك الأسلحة هي التي أعطت تفوقًا للإمبراطورية الألمانية على طول وعرض الجبهات القتالية في أوروبا والتي أصبحت حرب خنادق تتفوق فيها سبل التطوير والتكتيكات الجديدة فقط.

- سيدي، أهلاً بك وسهلاً

- أهلاً بك بروفيسور (وايزمان)

- لدي معلومات أنك رفضت أن تتسلم مكافأتك المادية نظير اكتشافك المذهل

- يا سيدي إن هذا الاكتشاف استغرقت في العمل عليه سنتين من عمري واستطعت تحويل دقيق الذرة إلى أسيتون أشد فعالية في استخراج الكوردايت، ممّا سيزيد حجم التفجير عند استخدامه في قنابل المدفعية متوسطة وطويلة المدى وحتى لو استخدم في القذائف الطائرة فستتضاعف القدرة التدميرية خمسة مرات على الأقل.

- اكتشاف وعمل مضني أنقذ المجهود الحربي على جبهات القتال يا بروفيسور (وايزمان) ومملكة صاحب الجلالة تحاول مكافأتك إلا أنك ترفض.

- أنا لا أرفض يا سيدي إنه لشرف عظيم تقديركم لعملي فانا ابن لجامعة مانشستر وهذا العمل نتج عن رقي ما تلقيتها فيها وكان لي طلب كنت قد طلبته مسبقا من السيد بانرمان

- وما هو يا بروفيسور

- وعدٌ سخّي من سيادتكم بتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين وهي الآن تتبع الحماية البريطانية ولا مشكلة من ذلك على ما أعتقد. كما أن

السيد روتشايد يعمل جاهداً على ضمّ أفراد جُدد لفيلق اليهود الذي يحارب تحت راية مملكة صاحب الجلالة وهو شرفٌ عظيم.

- لا مشكلة من ذلك يا بروفيسور. سأحدث مع السيد رئيس الوزراء (لويد جورج) والجنرال (جيمز ستانلي) لتنسيق ذلك فانا أُويد مطلبكم منذ كنت في وضع المسؤولية سابقاً

- أعلم ذلك يا سيدي ولهذا تجرأت وطلبت مقابلتكم لتدعمونا في مطلبنا هذا .

- لا تقلق يا بروفيسور.

obeikan.com

(٢٠)

ذئبٌ وخراف

إنَّ الأرحام عندما تنقبض، إنما تُتذر بخروج وليد من بين جنباتها، هذا الوليد الناتئ، لا يمكن التوقع بما سيكون بعد أن تطأ قدماه الأرض، من الخيرين يكون مدادًا، أم لفحة شيطان جاء ليغوي العقول والقلوب نحو هلاكها، وهكذا الثورات عندما تمّوج بها الأراضين، فلا يمكن التوقع، من سيتولى على الناس، إمام عدل ونور، أم ذيل مُدّس بخيانات، تُتتن الألسن عند ذكرها.

٢٨ يوليو عام ١٩١٦ م، مكة المكرمة

- "إن الاتحاديين خرجوا على العهد الأخوي بين الشعيين، رغم المعونة الصادقة التي بذلها العرب في ظل الخلافة، وخرجوا عن الشريعة فبدّلوا الأحكام، وشنقوا أحرارَ العرب جماعات وفُرادي، وشرّدوا أسرهم ونفوها من أرضها، وصادروا الأموال، ولقد نصحننا فلم ينفع النصح، وقد وقفنا الله لأخذ الاستقلال فضربنا على أيدي الاتحاديين، وانفصلت بلادنا عن المملكة العثمانية انفصالاً تاماً، وأعلنا استقلالاً، لا تشوبه شائبة مداخلة أجنبية، ولا تحكم خارجي، جاعلين الغاية نصر دين الإسلام، وإعلاء شأن المسلمين، مستنديين في كل أعمالنا على الأحكام وأصول القضاء."

ذلك نص منشور الشريف (حسين بن علي) والذي أمر بتوزيعه قبيل إعلان الثورة العربية على المملكة العثمانية طلباً لاستقلال الحجاز، بمعاونة بريطانيا .

- يا أمير عبد الله، إن هذا شيخ قبيلة الحويطات، عقيد القوم (أبو عناد عودة أبتايه الحويطي).

- ومَن لا يعرفه! اقبل اقبل، يا فارس الصحراء وقائد الرجال

- هلا بك يا أمير عبد الله شريف بن شريف

- هلا وغلا بوجودك السيد والدي في انتظارك

- هلا بالشريف بن الشريف بن الشريف

- هلا والله بقاهر الرجال عقيد القوم وفارسهم، اجلس أخي

- ما رأيكم فيما طلبتكم فيه يا أبا العرب ؟

- إني والله أؤيدكم وأضحى بأخر حفنة من فرساني من أجل أن يحكم العرب شريف بن شريف ولكن بعض الشيوخ وأبنائهم قد وصل إلى آذانهم شيء جعلهم يقبلون على داري ويفوضوني في سماع رأيكم الحكيم.

- وما هي ؟ يا عقيد القوم

- تعلم يا حكيم العرب وشريفهم أني وفرساني قهرنا جيش آل عثمان في العراق ووسعنا نفوذنا وكان الله معنا في كل خطوة هذا لأننا نخاف الله، ولكن القوم متوجسون من حرمة وضع أيدينا في أيدي الكفار من البريطانيين من أجل طرد أحفاد آل عثمان من أرضنا وسلطانهم

خليفة المسلمين.

- ترى يا عقيد القوم، لقد كنت أنوي زيارتكم إن لم تقبلوا عليّ وكنت أعدُّ للقائكم في قصر العقبة، ولكن الله يفعل ما يريد، هناك جواز التعاون مع غير المسلمين من أجل المسلمين يا أبا عناد و كنت قد تباحثت مع العلماء والشيوخ قبل أن اتخذ قراري بعد أن ظهر غضب الله وانتشر الجوع من أفعال الملاحدة الاتحادين، وقد صبرنا وقلنا اللهم ارفع مقتك عنا، ولكن السفاح جمال باشا لم تردعه رسالتي واستمر في تعذيب فرسان العرب وإعدامهم بعد أن أرسلوا لي كي أنقذهم من بين أيديه وأنا شريف مكة وسليل النسب الطاهر والمدافع عن الحقوق. وعليه فقد جاز لنا وضع أيدينا في أيدي البريطانيين حتى نصل على أراضينا العربية ونحكمها لأنفسنا ولا يخفي علي أن لهم مأرب آخر في القضاء على مملكة آل عثمان ولم يعد للسلطان المسلم وخليفة المسلمين من أمره شيء بعد أن تحكّم الملاحدة في البرلمان والجيش وعليه فقد قررت أن أقيم دولتنا الإسلامية الشريفة من الساحل للساحل وليعنا الله برجالكم وورثة الفروسية .

- فليعنا الله على إقامة حكم شريف على أراضينا وستجد مني كل تأييد يا حكيم مكة وشريفها

- وفقك الله يا عقيد القوم وفارس العرب، ونحن سنعلن ثورتنا الشريفة

غداً بعد صلاة الفجر من مكة من مكان شُرف بأن جلس فيه النبي محمد صلَّ الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

لضمان التفوق ونجاح الثورة العربية ولكي تصل بريطانيا إلى تحقيق مأربها في السيطرة على الخليج الفارسي وساحل البحر الأبيض المتوسط وقناة السويس فقد تمَّ إيفاد الرائد والعميل الاستخباراتي (توماس لورانس) والذي يتحدث العربية ولهجة الحلبية بطلاقة ليكون المندوب الدائم داخل الثورة العربية ليتَّم دائماً السيطرة على الأمور نحو الهدف المنشود وعلى الجانب الآخر لا بدَّ من أن يتشكل جيش عربي قوي يستطيع استكمال ثورته فالجيش العثماني منتشر من حول الجزيرة ومسلح بأحدث ما وصلت إليه تكنولوجيا تطوير السلاح كما أنهم أدخلوا الطائرات في جيوشهم وأصبحت لديهم القدرة على السيطرة على المعارك وإنهائها في ساعات، وبناءً عليه تمَّ استدعاء العقيد (عزيز علي المصري) لينظم ويؤسس الجيش العربي.

وبعد لقاء مطول ما بين الشريف (حسين بن علي) وابنيه (علي) و (عبد الله) والسير (سايكس) والرائد (لورنس) تمَّ الاتفاق على أن يقوم (لورنس) بزيارة لبلاد الحجاز تحت حماية الأمير (علي بن حسين) لتفقد حالة الجيوش والتي وزعها (الحسين) بأن جعل كلَّ ابنٍ من أبنائه أميراً على جيش جزئي في إحدى مناطق الحجاز، وأن يقوم العقيد (عزيز علي المصري) بقيادة الجيش العربي لما له من

خبرة عسكرية وانتصارات كبيرة مشهود له بها إبان الحرب العثمانية الإيطالية ولنظرتة السياسية الكبيرة حول تطور الأحداث في المملكة العثمانية على يد الاتحاديين ممّا جعلهم ينفونه إلى مصر ليتخلصوا من تأثيره الكبير على ضباط الجيش العثماني وخصوصًا الضباط العرب.

انطلق الجاسوس (لورنس) في صحراء الحجاز متوجهًا للقاء الأمير (علي بن الحسين) بعد أن ظلّ في العقبة ثلاثة أيام درس فيها شخصية الشريف حسين بن علي وابنه عبد الله وتأكّد له أن عبد الله مثل أبيه له حلم عريض بإقامة دولة إسلامية كبيرة في آسيا العربية كلها على أن يكون والده خليفة المسلمين أجمعين ومن بعده يرث هو الخلافة ولكن قد تأكّد له أن تلك المفاهيم لديهم لن تساعده في إتمام مهمته بالتحكم الكامل في تصرفاتهم لتوجيهها تبعًا للأوامر التي تصدر من المكتب العربي بالقاهرة فانطلق لمقابلة الأمير علي الابن الأكبر للشريف حسين علّه يجد فيه الصفات التي يرغب في تطويعها لمصالح مملكة صاحب الجلالة، وبينما هو مستلقيا على ظهره في ثغر صغير في تبة رملية ناظرًا لصفاء السماء العربية والنجوم تتلألأ زاهية كما لو كانت تزهو متناوبة وكأنها تحادثه

- مال هؤلاء الحفاة قد ولدوا هنا وأصبحوا اليوم يطالبون بأن يكونوا ملوكًا، أليست تلك السماء الرائقة والنسيم البهي واتساع تلك الأراضي

وما فيها من ثروات في باطنها كثيرًا عليهم، أطماعنا من أجل أمة كاملة نبحت عن رفعتها وسيادتها على كل العالم فالحضارة والرقي لدينا ولكن هؤلاء ؟ لا يستحقون أبدًا، جهلاء وأغبياء وطمّاعون، لو كان بيدي لألقيت بهم في مياه الخليج.

وفي نشوة الاستمّاع بنسيم يثلج الصدور ويشفي العقول هاجت لديه غرائز الاستمّاع الأولى وسبب تسلسل البشرية فقام من فوره وانزوى بعيدًا وفي يده خادمه (سليم الدهوم) وامتطى ظهره مطولًا حتى تتسم روحا جديدة تدب في جسده وانطلقت الدماء في رأسه فانتعش وزفر وهو مأخوذ بجمال تلك الطبيعة.

بعد أن وصل إلى الأمير (علي) اكتشف أنه حكيم ومهذب وهادئ الطباع يؤثر الخير والسلام دائمًا على سفك الدماء وبالتالي فلن يكون هو القائد الذي يرغب في تطويعه لصالح خطته هو والمتطفلين الثلاثة الآخرين.

في تلك الأثناء كان العقيد (عزيز على المصري) رئيس أركان الجيش العربي، يقوم بتدريب الفرسان العرب وساعده في ذلك انضمام الكثير من الضباط والجنود الشاميين والذين طردوا أو سرحوا من الجيش العثماني، فعندما علموا بان عزيز على المصري قد تولى رئاسة أركان الجيش العربي فانهاوا مؤيدين دون طلب أي شيء بحثًا عن استقلال الدولة العربية.

واستطاع الجيش العربي في شهرين فقط أن يحرر مكة وٲغري (الليث)
و (المويلح) على ساحل البحر الأحمر وبعدها بشهر حررت الطائف .
انطلق (لورنس) شمالاً للقاء الأمير (فيصل بن علي) الابن الثالث له ،
وما أن تحدث معه حتى وجد فيه ما يرغب ، الشخصية الطموحة للتملك
وحب السيطرة والاستمتاع بنشوة النسب وتقدير الناس كما أنه وجد
فيه تأييداً وانبهاراً كبيراً ببريطانيا العظمى ويقتنع تماما بأنها قائدة
التحضر على مستوى العالم .

(٢١)

المخلصون

وهل تعي الخراف ما يحدث عند اقتياد إحداهما لتُجزر! بل لا تفزع إلا بعد أن تنقضّ عليها الذئاب وجُلّ ما تفعله أن تنجوا بأعناقها.

كل الانكسارات والهزائم في الجيوش البريطانية في نهاية عام ١٩١٥ م نتج عنها مطالبات بتغيير في القادة الميدانيين وتشكيل وزارة جديدة تكون قادرة على إدارة شؤون مملكة بريطانيا العظمى في ظل المواجهات المفتوحة على كل دول العالم تقريباً كما أن المستعمرات البريطانية الآن مهددة من كل اتجاه سواء من داخلها بموجة الثورات أو من الخارج بأطماع الممالك والإمبراطوريات المعادية. وجاءت الأصوات عالية من مجلس العموم ورافقتها أصوات مجلس اللوردات فتمَّ إسقاط الوزارة وتمَّ تعيين السيد (لويد جورج) رئيساً للوزراء وبدوره انتدب السيد (بلفور) ليكون وزيراً للخارجية، فمن هو أقدر منه على إدارة شؤون المملكة الخارجية!! وتمَّ انتداب الجنرال (كيتشنر) ليكون خلفاً للسيد لويد جورج في وزارة شؤون الحرب وبذلك تشكل ثالث قوى يستطيع إدارة شؤون بريطانيا العظمى ويحقق طموحها السياسي في التوسع الاستعماري وضمان التفوق والسيطرة العسكرية على مستعمراتها أمام

إمبراطورية ألمانيا المأجنة.

وكان أول نجاح عسكري وتفوق استراتيجي في عام ١٩١٦ هو هزيمة الجيش العثماني في بلاد فارس وتأمين آبار النفط بالقرب من بحر قزوين لتأمين الوقود اللازم للأساطيل البحرية المرابطة في الخليج الفارسي وخليج عدن والبحر الأبيض المتوسط. والانتصار الساحق والرادع على جمال باشا وزير البحرية العثمانية والملقب بالسفاح لفرط استخدامه للقوة والعنف بلا تراخي. وكان يجب العمل على تفعيل دور الاستخبارات واستخدام كل السُّبل لدحض جيوش المملكة العثمانية لإحكام السيطرة على الشام والخليج الفارسي بلا منازع والعمل على رد الإمبراطورية الألمانية إلى سابق حدودها وتأمين شرق البحر الأبيض المتوسط وإرساء دعائم الحماية البريطانية الفرنسية لمنطقة الهلال الخصيب والهلال الوفير في إفريقيا والعمل على تنفيذ توصيات لجنة بانرمان السرية لضمان التفوق الاستعماري البريطاني دون مشاكسات سياسية أو قتالية لمدد طويلة.

- سيدي رئيس الوزراء لدي تقرير من ورقتين فقط أرجو أن تُقدم على تنفيذه في أسرع وقت مُمكن لضمان تحقيق أهدافنا وحتى تصب نتيجة الحرب العالمية في صالحنا

- عن أي شيء هذا التقرير يا سيد (بلفور) ؟

- النقطة الأولى هي العمل على تحديد مدى تواءم دول العالم مع المصالح البريطانية كما نصت الفقرة الأولى في توصيات لجنة السيد بانرمان وتلك النقطة ستحددها الحرب العالمية والتي يتكون في صالحنا بعد القضاء على المملكة العثمانية نهائياً ونسف أحلام إمبراطورية ألمانيا.

- والنقطة الثانية.

- النقطة الثانية هي تحقيق التوازن الذي يضمن تفوقنا مستقبلاً وذلك يتم من خلال تحجيم الدول التي صنفت من المستوى الثالث وهي دول الشرق الأوسط والشمال الإفريقي والتي تتفق في اللغة والدين والثقافة وتلك الغاية تحقق بإنشاء فاصل بشري قوي يمنع توحيد تلك الدول.

- هل هناك نقاط أخرى أيها السياسي المحنك؟

- نعم، كما تعلم جيداً ونحن أعضاء في حزب سياسي واحد ولنا نفس السياسة والتوجه إن اليهود القادمين من روسيا والمملكة العثمانية والشرق إلى أوروبا استغلوا وروجوا لعملية اضطهادهم ليدخلوا إلى أوروبا وينتشروا فيها وكلنا نعلم حجم التأثير الذي نجم عن اندماجهم في أيديولوجيات الكيان الأوروبي ككل حتى مجتمَعنا السَّامي لم يخل من اندماجهم وتأثيرهم فيه

- أنت تعلم كم أكره هؤلاء الصهاينة يا سيد بلفور وقد أعلنت ذلك

وواجهته سابقاً.

- كلنا نعلم ذلك يا سيدي وموقفي معروف وموقف السيد (هربرت هنري أسكويث) معروف تماما ولكن الحال اليوم تبدل ونحن في حاجة لاتخاذ قرار فعلي لحل تلك المعضلة والتخلص من خطرهم المُحْدق والمقلق لسياستنا وأنا أرى أن الحل الجذري والفعلي هو تطبيق النقطة الثانية بعد أن تضع الحرب العالمية أوزارها بتأسيس وطن لهؤلاء اليهود في فلسطين، ذلك سيجعلهم حلفاءنا وسيقومون بتنفيذ آلية سياسية نحن نطمح لها.

- أراك تعيد على مسامعي كلمات الوزير (هربرت صموئيل) لقد قال نفس الكلمات ومقتنع بنفس الفكرة وأنا أؤيدها تماما ولكن من أين لك أن تضمن ولاءهم، هؤلاء المرابون ليس لهم عهد يا سيد بلفور.

- الضمان هو المصلحة المتبادلة يا سيدي ليس أكثر وليس هناك أكثر من مبدأ المصلحة في عالم السياسة وأنا أرى ذلك جيدا في قاداتهم.

- أمثال من؟

- البروفسور (حاييم وايزمان) لقد التقيته في عام ١٩٠٦ م في سنوية مجموعة راسل للجامعات، هو الآن بروفسور في جامعة مانشستر في الكيمياء وسيادتكم تعلم حجم اكتشافه لتطوير الأستون والذي أسهم كثيرا في تطوير الذخيرة.

- أعلم ذلك يا سيد بلفور، أولاً أريد أن أرى هذا البروفسور وأسمع منه بنفسى، ثانياً أرى أن تتسق أنت بصفتك الرسمية مع الجنرال (جيمز ستانلي) بخصوص مسألة إقامة وطن لهم في فلسطين.

- كما ترون يا سيدي

وقف السيد (لويد جورج) أمام نافذة مكتبه مُمسكاً بالتقرير وماسحاً على شاربه الكبير بشعراته المائلة للصفرة بسبب شراهة التدخين لديه ثمَّ نظر إلى التقرير وجالَّ في خاطره أنه لا بدَّ من اتخاذ قرارات فورية وحاسمة حول كل القضايا العاجلة والتي ربما تعمل على تعطيل تقدم بريطانيا العظمى نحو تحقيق أهدافها الاستعمارية الكبرى.

- أهلاً بك بروفسور.

- أهلاً بك سيدي.

- لقد بلغني نص طلبكم من السيد بلفور.

- نعم يا سيدي وأرجو أن يجد قبول لديكم.

- لا مشكلة من إقامة وطن لليهود على أرض فلسطين يا بروفسور ومجهودكم العلمي يساهم في نصره بريطانيا العظمى وكل التقدير الملكي مقدّم إليك.

- هذا التقدير يعظّم عندما أجد دعمكم في تنفيذ أحلامنا البسيطة

على أرض فلسطين يا سيدي.

- ليس لدينا مانع من ذلك ولكن يجب أن تعقد جلسة عمل مع الوزير (هربرت صموئيل).

- نعم يا سيدي ولكن السيد هربرت صموئيل من اليهود المعادين لفكرة الصهيونية العملية يا سيدي.

- لا تقلق يا بروفيسور إن الوزير هربرت صموئيل داعمٌ كبير الآن لفكرة إقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين وسيتعاون معكم بكل الطرق الممكنة.

- أتمنى ذلك يا سيدي.

- ستجد كل الدعم الذي تطلبه يا بروفيسور

وبعد يومين وفي جلسة خاصة ما بين السيد (لويد جورج) رئيس وزراء مملكة بريطانيا والوزير (هربرت صموئيل) تمَّ اتخاذ قرارًا بوضع حيز التنفيذ في منتصف العام على أن يكون المشرف على عملية التنفيذ والتهجير هو الوزير (هربرت صموئيل) بنفسه نظرًا لخبرته في أحوال اليهود عندما أرسل موفدًا عن الحكومة البريطانية لتقفي أثر اليهود القادمين من روسيا والشرق وقام بإعداد تقرير تفصيلي تاريخي عن هجرة اليهود إلى أوروبا تمَّ الاعتماد عليه لسنوات طويلة في التعامل مع فصائل اليهود الشرقية الوافدة إلى أوروبا وترغب في الاندماج بين

شعوبها.

- يجب عليك أن تؤكد لي أنك ستكون قادرًا على امتصاص هؤلاء الصهاينة من الوجود في المجتمع البريطاني خلال سنوات قليلة يا سيد هربرت!.

- أعدك يا سيدي بأن أمهد كل الأجواء لجلاء كل الصهاينة من المجتمع الأوروبي ككل ولن يبق إلا يهود الأشكيناز المتصلة بهم مصالح بريطانيا العظمى بشكل لا يمكن فصله.

- مثل من ؟

- مثل عائلة روتشيلد يا سيدي فهم يهود ولكنهم ليسوا صهاينة وسيادتكم تعلم أن باروناتهم ضد فكرة الصهيونية ويرفضون هجرة اليهود إلى المجتمع الأوروبي لأنهم يخسرون الكثير من تواجدهم.

- لا، لا بد من أن تضمن لي أن يؤيد كل آل روتشايلد لفكرة جلائهم عن بريطانيا حتى يدعموهم مادياً ويضغطون عليهم من خلال المحافل الماسونية فتتم عملية الجلاء سريعاً ودون أزمات سياسية.

- أولاً إن حجم الجاليات الصهيونية لا يشكل نقطة على سطر بالنسبة لمصالح مملكة بريطانيا يا سيدي ولو لم تكن في حالة حرب، ستكون لدينا الآلية السياسية لطردهم بلا رجعه، ولكني مقتنع تمامًا بتنفيذ توصية لجنة السيد بانرمان بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين فنكون

بذلك أصبنا هدفين بسهم واحد.

- إذا سيكون على عاتقك تنفيذ ذلك ولكن انتظر مني إشارة البدء فربما خلال عام تنتهي الحرب العالمية بتحقيق انتصار ساحق لنا. وسيترتب على ذلك ترتيب الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط ككل لما له علاقة بالخليج الفارسي وإفريقيا. ولتعمل على توحيد رأي آل روتشايلد في شكل قرار واحد للعائلة .

- إن أكبرهم وبارونهم وولي عهد اللورد (ناثان دي روتشايلد هو السيد (ليونيل وولتر دي روتشايلد) .

- إذا فليكن الداعم الأول للمسألة، اعمل على ذلك، أما (جيمس أرماند دي روتشايلد) فسيكون حلقة الوصل مع حكومتنا من الناحية المادية فنحن ملتزمون معه بقروض كان سخياً فيها جداً ودعمت تسليحنا منذ بدأت الحرب العالمية.

- علم يا سيدي وسأعمل على تهيئة كل الأمور خلال شهر من الآن.

في فبراير من عام ١٩١٧ قامت ثورة العمال في الإمبراطورية الروسية على يد الحزب اليساري بقيادة (لينين) ومساعدته الوفي (جوزيف ستالين) ضد سياسات الحكومة الإمبراطورية المصحفة نحو حقوق العمال وكثرة الديون الخارجية والتي وصلت إلى أكثر من أحد عشر مليار روبل روسي مما أثر بشكل مباشر على الأسعار الداخلية وتقديم

الخدمات الصحية والاجتماعية وفي نفس الوقت تشارك الإمبراطورية الروسية في حرب لا يرى الشعب مصلحة ولا هدفاً منها بل تستنزف الدولة وتعمل على شقاء العمال المطحونين وزيادة ثراء الأغنياء والوزراء وأبناء طبقة النبلاء وبناء على قيام الثورة انسحب الجيش الروسي من الحرب العالمية بعد القيام بثورة داخلية على الحكومة المؤقتة والتي ظلت لمدة أربعة أشهر فقط لتعلن روسيا الجديدة خروجها من الحرب العالمية نهائياً، لم تجد بريطانيا بُدّاً من تطبيع إمبراطورية رومانيا وإمارة التشيك و السلوفاك والتي كانت على الحياد حتى خروج روسيا من الحرب العالمية، فقد عرض مندوبون عن السيد وزير الشؤون الخارجية عرضاً لا يرفض بأن تُعطى أجزاء من أراضي شرق المجر وأن تعطي تشيكوسلوفاكيا استقلالها فانضمتا لدول الحلفاء فأرسلت إيطاليا وزير خارجيتها والذي وقع اتفاقية عام ١٩١٥ مع بريطانيا وفرنسا وروسيا على الحصول على أرض ألمانيا في إفريقيا الوسطى والساحل النمساوي وأن تكون ألبانيا محمية إيطالية طالباً الحصول على المزيد من أراضي إسبانيا.

وبعد تحقيق نصر متتال على الإمبراطورية الألمانية في بلجيكا وتحقيق تقدم على كل الجبهات لم تجد الإمبراطورية الألمانية بعد أن رفضت دول الحلفاء الهدنة المقترحة منها بُدّاً من القيام بأوسع عمليات حربية في البحر بهدف تدمير الأسطول البحري الملكي والتأثير

على الإمدادات الحربية ولجأت إلى نشر حرب الغواصات والمناطيد المسلحة وهاجمت بلا تمييز كل السفن التي قد تجدها في مياه المحيط الأطلنطي والهندي ونتج عن ذلك أن دمرت وغرقت سفينة الشحن التجاري الأمريكية ممّا أجبر الولايات المتحدة عن التخلي عن دور وسيط السّلام لإنهاء الحرب إلى الانضمام إلى دول الحلفاء وتعبئة الجيش والأسطول البحري ووضعه تحت إمرة الجيش البريطاني فاستطاعت بذلك دول الحلفاء فرض حصار بحري على الإمبراطورية الألمانية بعد أن وحدت القيادة تحت إمرة القادة البريطانيين ممّا دفع الإمبراطورية الألمانية لاتخاذ تدابير قاسية وسريعة لإنهاء الحرب بالانتصار قبل أن تصل جيوش الولايات المتحدة الأمريكية إلى مواقع القتال ممّا أدى إلى إطلاق اليد في استخدام الغازات القاتلة والسامة وانتشرت حروب كيماوية أثرت أبلغ تأثير على الجيش الفرنسي مما أدى لهروب كتائب كاملة من مواقع القتال ولم تستطع الجمهورية الفرنسية التحكم في تلك الروح الانهزامية إلا بفرض الإعدام على من يخالف الأوامر العسكرية بلا محاكمة، وبينما تستعد ألمانيا في عام ١٩١٨ للقيام بهجوم شامل بعد أن عاد جنودها المأسورين من روسيا بعد عقد الهدنة مع قادة الثورة البلشفية، أقدم إمبراطور إمبراطورية النمسا والمجر على عقد صلح سري مع رئيس وزراء جمهورية فرنسا ممّا خلق أزمة دبلوماسية كبيرة جعلت ألمانيا تنوي القيام بهجوم بكامل القوات

للسيطرة على الأراضي الواقعة تحت أيديها في وسط أوروبا ولكن سرعة وصول قوات وأسطول الولايات المتحدة الأمريكية أدى إلى زيادة الضغط على الإمبراطورية الألمانية بعد أن خسرت معركتين متتاليتين خسرت فيها الكثير من الجنود وفي نوفمبر من عام ١٩١٨ اضطرت إمبراطورية ألمانيا إلى طلب الهدنة وتوقف القتال يوم الحادي عشر من الشهر الحادي عشر الساعة الحادية عشر من عام ١٩١٨ م

وجلس رئيس وزراء بريطانيا العظمى (لويد جورج) ومن حوله كل من طمع في قطعة من مآدبة الطعام الشهي الغني والذي أسال لعاب كل من يملك سلاحا. وفرضت الشروط ورُسمت الحدود واقتطعت الأراضي من دول لتعطى لأخرى وتمّ العمل على ترسيم حدود تضم عرقيات قومية أو دينية أو أصولية لكي تكون منبع لصدام ربما ينشأ مستقبلا فيحتاج أصحابه لحماية دائمة ومن ذا الذي ينال شرف استقدام مملكة بريطانيا العظمى لحمايته وتأمين شعبه، فلهث كل حالم لمُلك وزعامة إلى أن يلحق حذاء صاحب الجلالة كي يمكنه من كرسية وعرشه.

(٢٢)

خيانة الأرض

ولكنها قوانين القوة تقول: إنَّ من حق القوي أن يغتصبَ حق الضعيفِ
وعلى الضعيف أن يختبئ حتى يقوى لا أن يرتمي بالقرب من فكي القوي
وهو ممسكٌ بصغيره جاعلاً إياه درعاً ما بين أنياب القوي وجسده
الضعيف، وطمعاً في التقاط بقايا طعام سقطت من بين أنياب القوي
يترك صغيره فريسة أمام القوي وينكفى محاولاً التقاط ما سقط ولوثته
الرياح.

٢١ يوليو عام ١٩١٧ م، ميناء العقبة

عاد لورنس سريعاً إلى القاهرة لتسليم تقريره المتفق عليه لقائده (كلايتون) وفي الاجتماع لاحظ الجميع حماسة (لورانس) لتأييد الثورة العربية ودعمها بالسلاح والمؤن والأموال. وهنا أوضح وجهة نظره.

- لديكم خطة طويلة الأجل تمتد لخمس سنوات. إذا ما نفذت خطتي بدقة، أستطيع تنفيذ بنود اتفاقية السير (سايكس) في غضون عام واحد من الآن وأن تكون كل القبائل العربية حليفة فعلية لنا ضد المملكة العثمانية أو مناوشات فرنسا.

وكان أولاً لا بدّ من التخلص من كل العقبات التي ربما تعوق تنفيذ مخططه، فرتب لورنس أركان الجيش العربي يلقى تأييداً كاملاً من كامل الجيش النظامي وقيال البدو والقبائل لثقتهم فيه، فهو دائماً يتحدث

عن القومية العربية واستقلال العرب.

وردت معلومات إلى العقيد (عزيز على المصري) تؤكد أن اتفاقات تتم بين بريطانيا وفرنسا على تقسيم مصالحهم في الشرق الأوسط وكل ما يشغلهم هو الانتصار في الحرب ولا يشغلون بالهم بأي شكل بفكرة استقلال العرب بل على العكس ربما يكونوا قد أيدوا الفكرة ودعموها من خزينة مصر لكي يتمكنوا من ضمان تفوقهم على المملكة العثمانية في الجزيرة حتى الانتصار فالعرب بالنسبة لهم لا شيء.

أبلغ العقيد (عزيز المصري) الشريف (حسين) قائد الثورة بما ورد إليه وأنه يؤيد تلك الفكرة ويجب أن لا نخلص لهم ونترك لهم أراضي الجزيرة مرتعا يفعلون فيه ما يريدون. ولكن الشريف (حسين) كان مأخوذاً وغائباً كالمسحور بالبريطانيين ويثق بكلامهم.

فانتقل العقيد (عزيز المصري) إلى المدينة والتقي (فخري باشا) قائد القوات العثمانية والمُحاصر من الجيش العربي وطلب منه أن تتحالف المملكة العثمانية مع العرب ضد بريطانيا وفرنسا الاستعماريين بشرط استقلال العرب عن المملكة العثمانية. وقبل أن يصل رد إلى الفريق (عزيز المصري) علم الشريف (حسين بذلك) فقام بفصله من رئاسة الأركان وأعطاه أجازة إجبارية وطلب منه مغادرة أراضي الجزيرة إلى مصر ، وطلب من ابنه فيصل قائد الجيش المحاصر للمدينة بتصفية الحامية العثمانية والقضاء عليها ، إلا أنه

دحر ومُني بخسائر فادحة في الأفراد والمعدات بعد أن استطاعت الطائرات العثمانية فك الحصار وإرغامه على التحرك بجيشه صوب ينبُع . وكان في ذلك الوقت (لورانس) قد وصل ينبُع ومعه كميات من السلاح البريطاني الحديث ومبالغ مالية اقتطعت من الخزينة المصرية بناءً على أوامر كولونيل (ويلسون) الذي كان مقتنعاً بأفكار (لورانس) . فقد طلب منه أن يرافق فيصل مادامت توافرت فيه كل المواصفات المطلوبة لقائد للثورة يتبع السياسات البريطانية ولا يعطل مصالحها . فبعد أن قدم (لورانس) تقريراً كاملاً يشرح فيه أفكاره وخطته للسيطرة على الحجاز والشام وطرد المملكة العثمانية . فقد ذيل التقرير بجملة جعلت خزينة مصر مفتوحة أمامه لتنفيذ مبتغاه "أن يُهدر دم إنجليزي واحد يساوي عندي كل العرب في الجزيرة " .

جلس (لورانس) يخفف من وطأه الذل على رأس فيصل بعد هزيمته المفجعة وواعداً إياه بكل الدعم المعنوي والمادي والعسكري ، ومن أجل ذلك عرض عليه أن يقيم تحت حراسته الخاصة برحلة مطولة على القبائل العربية من الشمال للجنوب لضمهم للجيش العربي بقيادة فيصل والذي تولي رئاسة الأركان خلفاً للعقيد (عزيز على المصري) وقد نجح (لورانس) في مبتغاه بأن أيدته زعماء القبائل بعد أن أغدق عليهم بالهدايا والأموال والتي جلبها معه من مصر وكان على رأسهم الزعماء (جعفر باشا) والزعيم (نوري الشعلان) وشيخ قبيلة

الحويطات من سيناء وحتى فلسطين (عودة أبو تايه).

هؤلاء الثلاثة تعمَّد (لورانس) أن يستجديهم فكل منهم له ما يميزه من خبرة وقوة وسيطرة على أعداد كبيرة من الفرسان العرب ولكنه أفتن كثيرًا ب (عودة أبو تايه) هذا الرجل الذي بني بيتًا جنوب الأردن يعتمد على سبعة أعمدة ممَّا يدل على أنه زعيم أصولي وقبائلي كبير وبيته يشبه القصر الملكي في مضمونه كما أن هذا الرجل كان خبيرًا عسكريًا ومناوشات عصابات القبائل واستطاع ضم مساحات كبيرة من الأراضي والسيطرة عليها من سيناء غربًا وحتى الأردن وفلسطين شرقًا وحتى خليج العقبة جنوبًا، كان شرسًا يستخدم البندقية والخنجر والسيف ويضرب لهدف القتل دائمًا وجسده كاملاً بما فيه وجهه لا يخلو من بقايا إصابات من غزواته السابقة، ومن هنا رآه (لورانس) زعيمًا قوطيًا بربريًا همجيًا يستطيع الفتك دون تأخير من العصور الوسطى في أوروبا.

وبعد أن توحد الجيش تحت إمرة (فيصل) ظاهريًا و(لورانس) باطنًا تحرك صوب العقبة لطرده أكبر حامية متبقية للمملكة العثمانية والسيطرة على خليج العقبة وأعددت الخطط وسلم (لورانس) قيادة المعركة لـ (عودة أبو تايه) الشرس وتركهم للذهاب لمصر لاستقدام المدد العسكري والمؤن وكان أول لقاء بين (لورانس) والجنرال (إدموند هنري هاينمان النبي) قائد التجريدة المصرية الميداني،

وحدث في بداية اللقاء صدام بسيط نتج عنه أن أوضح كل منهم وجهة نظره فالجنرال (اللنبي) كان قد نقل إلى القاهرة ليشرف على تنفيذ تمكين بريطانيا العظمى من مصالحتها في الشام أمام فرنسا وروسيا وكانت كل توجهاته صوب هذا الهدف بينما (لورانس) كان يريد الوصول لنفس الهدف ولكل من العمق حتى يضمن عدم اهتزاز تلك المصلحة مرة أخرى. وبعد أن نقل وجهة نظره كاملةً وشرح بنود خطته وطرق تنفيذها ، اقتنع جنرال (اللنبي) ودعمه بمبلغ عشرين ألف جنيه مصري كل شهر بالإضافة للتأييد العسكري الكامل بإرسال خمسة قطع بحرية إلى العقبة ممّا حقق انتصارًا ساحقًا على القوات العثمانية وتشردمت ما بين قتيل وجريح وفار إلى الأراضي المصرية وبعضهم انضم إلى الجيش العربي .ولكنه في خضم نشوة الانتصار، جلس (لورانس) كئيبيًا حزينا مكفهر الوجه وسارح الفكر وعيناه متحجرة من شدة الدموع خلفها، لقد فقد معشوقه الخانع (سليم الدهوم) في مصادمات القتال، ولكن الهدف الأعظم هو مصالح مملكة صاحب الجلالة جعله يتناسى حزنه إلا أنه بدأ في كره كل تلك الصحراء وتحديدًا تلك البقعة من الأرض.

حاولت القوات العثمانية تجميع شتاتها بعد أن دفعت بالمدد من إمارة بغداد ولكن الجاسوس المحنك (لورانس) والمقاتل المتمرس والشرس (عودة أبو تايه) لم يكونا قد يسمحان لأي تراجع وتمّ القضاء

على كامل الفرقة المرسلة من بغداد بعد أن قدم الطيران البريطاني وألقى بالقنابل المتفجرة على القوات العثمانية لتستقر الأوضاع ويتم السيطرة الكلية والتامة على ميناء العقبة لصالح بريطانيا ويؤمن لهم الميناء القوات العربية أيضاً، فهذا ما كان قد اتفق عليه (لورانس) مع الجنرال (النبى) في زيارته على أن يكون ميناء العقبة جناحاً أيمناً للجيش البريطاني أثناء احتلال الشام بداية من فلسطين غرباً وحتى سوريا شرقاً، على أن يقوم بتنفيذ خطة أخذ فكرتها بأوامر من الجنرال (النبى) وهي عملية فصل جيش (فيصل) عن جيش أبيه (الحسين بن علي) على أن تكون قاعدته الدائمة ميناء العقبة لتأمينه والتعاون مع الجيش البريطاني. لم تكن (علاقة لورانس) محل ثقة كاملة فالرجل الكبير (الحسين بن علي) كان يرى نفسه ملكاً ولا يتعامل إلا مع القادة البريطانيين أصحاب القرار والنفوذ. ولذلك خشي أن يرفض الشريف (حسين بن علي) فكرة فصل الجيشين ولذلك طلب من الكولونيل (ويلسون) أن يبلغه بالفكرة وشرح له الفكرة الاستراتيجية من ذلك فوافق دون اعتراضات ممّا أكد للورانس أن هذا الرجل يثق تماماً في البريطانيين ويأتمر بأفكارهم، فضمن نجاح باقي خطته ودوره.

ولكنه فوجئ بأن برقيات الشكر والترقيات تذهب إلى المكتب العربي ومكتب المندوب السامي البريطاني وهو يحترق في الصحراء ويرتدى ملابس الحفاة ويأكل من أكلهم وينام في خيامهم وهم منعمون في

قصورهم الفخمة في القاهرة واكتشف أن كل الانتصارات التي تحقق على أرض الواقع داخل الحجاز تنسب فقط للقادة الميدانيين وربما يرجع هذا للنظرة الدونية والتي كانت منتشرة في صفوف الجيوش البريطانية للجهاز الاستخباراتي والذي تؤثر تقارير عملائه على ترقياتهم ومكانتهم فأوهم جواسيس أندال ينقلون أخبار الجبهة القتالية دون وعي ودون تقديم أرواحهم فداءً لمملكة صاحب الجلالة كما أن شهرة (لورانس) بأنه مثلي يكره النساء ويعشق الرجال من جنسه ولدت كراهية مخبأة نحوه، فقد تميز كل القادة في الجيش البريطاني بالشوارب الكبيرة والظهور بمظهر الرجل القاسي القادر على أي شيء. كانوا يظلمون شهوياً طويلاً على جبهة القتال حول المستعمرات ولم ينزوي أحدهم إلى النزعة المثلية وإن تطورت الأمور فقد كانوا يسمحون للجنود أوقات الراحة بزيارة المواخير لشرب الخمر من نوعية الويسكي الاسكتلندي والبراندي ومعاشرة العاهرات حتى حالات الاغتصاب التي كانت تنتشر أحياناً في بعض المستعمرات وبالذات في المستعمرات الإفريقية فقد كان مسموحاً بها ضمناً وليس رسمياً ولكنهم كانوا فقط أقسى ما يفعلونه هو تعنيف من قام بعملية الاغتصاب لإحداهن، ولورانس كان باحثاً آثار مدنياً دخل إلى الخدمة في صفوف الجيوش طواعية، فلماذا يترك العذارى والخيلاء في بريطانيا ويتجه لمعاشرة صبي صغير؟

فعمد (لورانس) الجاسوس المدربّ وصاحب الخبرة في مرافقة البدو داخل أراضي الحجاز إلى القيام بعمليات تخلد اسمه وتدخله التاريخ ليعد بطلاً في المملكة البريطانية عند عودته. طمعاً في تغيير تلك الصورة واكتساب الاحترام والإجلال والقيمة.

obeikan.com

(٢٣)

الوعد

أن تستضيف رجلاً في بيتك، وتتركه وحيداً مع زوجتك، فهو لا يحتاج إلى شيطان يوسوس له بل سيعهد إلى اغتصابها بحكم الغريزة في كل لحظة.

٢ نوفمبر عام ١٩١٧ م، لندن

بعد أن فقدت المملكة العثمانية ميناء العقبة، فقد دفعت بكل طاقتها القتالية لتأمين الشام والعراق فلا يمكنها فقد تلك النقاط المهمة والاستراتيجية فهي البوابة الغربية لحدود المملكة على ساحل البحر المتوسط، واعتمدت في تكثيف كل قواتها على خط سكة حديد دمشق الحجاز والذي تحوّل إلى خط إمداد عسكري منذ نشوب الحرب العالمية وتوقفت رحلات الحج ونقل الركاب تمامًا وكان الركاب يستخدمونه بشكل غير رسمي فلم تكن السلطات العثمانية في ذلك الوقت تهتمّ إلا بمجهودها الحربي وعمليات القتال على أكثر من جبهة.

- ماذا تقول يا (لورانس) ؟

- أتريدنا أن ندمر خط السكك الحديدية بأنفسنا ؟

- نعم جنرال فيصل يجب أن يتوقف تمامًا فهو الشريان الأساسي في

المدد العسكري للحاميات فيما بين الشام والجزيرة.

- ولكنه يمر بأراضينا ونحتاجه لنقل الحجاج ونستفيد منه كثيراً في نقل المؤن وبعد استقلالنا سيكون له أبلغ الأثر على مملكتنا.

- أنا لا أقول أن ندمره، فقط نعطل العمل به لإضعاف القوات العثمانية.

- وكيف ذلك ؟

- بالمتفجرات

- ومن سيقوم بذلك ؟ ليس لدينا من هو مؤهل لذلك ثم كيف سنحدد أفضل موقع لتعطيله فيؤثر على القوات العثمانية.

- أولاً أنا من سيدرب مجموعات عمل تكون جاهزة للقيام إما بتفجير القاطرات أو قطع السكك الحديدية، ثانياً تحديد النقاط يأتي بناء على تفاعل القبائل البدوية مع الجيش العربي أثناء توسعه في كل يوم لكسب أراض جديدة حتى تمام خنق القوات العثمانية في الشام، حتى يمكن إزاحتهم في البحر بدفعه إصبع.

نجحت الخطة الشيطانية واقتنع بها (فيصل) وعمل على دعمها بيديه بل استخدم ذكاهه الفياض واتفق مع بعض القبائل البدوية والتي كانت رافضة لإنشاء خط سكك حديد (دمشق __ الحجاز) لأنه أولاً سيعمل على إنهاء سفر الحجاج مستخدمين إبلهم وحميرهم وتلك كانت مهنتهم الأولى، وثانياً سيؤمّن كل المارين داخل الجزيرة العربية سواء

قادمين من اليمن والمحيط الهندي أو قادمين من الشام للبحر الأحمر والعكس وتلك القوافل التجارية كانت مصدر الرزق الثاني والأهم والأضمن فقد كانوا يغيرون وينقضون على القوافل ويجردونهم حتى من ملابسهم. وما أن وجدوا أمامهم صندوقاً خشبياً متوسط الحجم مزيناً بختم من الحبر الأحمر عليه شعار مملكة بريطانيا العظمى مملوفاً بقطع ذهبية تلمع من الليرات والتي دمغت ببروزات على وجهها بصورة القديس جورج يطعن التنين بحربته . وضعه أمامهم الجنرال (فيصل) كما كان يطلق عليه (لورانس).

استمرت خطة (لورانس) لمدة شهرين كاملين استطاع خلالها تدمير خط سكة حديد الحجاز تماماً وتوقف عن العمل ولم تعد تمر القاطرات محملة والدخان الأسود الكثيف يتبعها من مقدمتها وحتى آخر عربة ليشق صمت مدن الحجاز وصحاريها المقفرة فبعد أن انتشرت على طول ألف وثلاثمائة كيلومتر محطات للقطار تكونت حولها الأسواق التجارية واستطاع البدو الانتقال الحضاري نسبياً من خلال اتصالاتهم بالشام. خفت الصوت وتبخر الدخان الأسود وأيضاً نقلت القبائل البدوية فيما بين المدينة ومعان القضبان الحديدية وأصبحت السكة الحديدية ممراً ممهّداً من وقع مرور القاطرات عليه وبلا قضبان حديدية .

وتحت وطأة نقص الإمدادات العسكرية والذخيرة للحاميات العثمانية

في الشام فقد تقدم الجيش العربي المكون من سبعين ألف جندي نصفهم جيش نظامي مدرب من فلول الجيش العثماني والنصف الآخر من البدو والذين تعلموا وحملوا بنادق ميدان من طراز (لي انفيلد) صنعت في مملكة بريطانيا العظمى. وفي نفس الوقت كان الجاسوس (لورانس) يرسل البرقيات بنتائج خطته للجنرال (النبلي) والذي قرر أنه بعد قطع خطوط الإمداد عن المدينة فإن الحامية لن تستطيع المقاومة ويجب أن يبقى جزء من الجيش العربي محاصرًا لها حتى تستلم وكان على رأس ذلك الجيش (على بن الحسين) بينما كان فيصل مُرابضًا بقواته في العقبة وباقي الجيش تحت إمرة جعفر العسكري ونوري السعدي وتوجهوا صوب الحدود الغربية للعراق وتبعهم فيصل بجيشه الجنوبي للضغط على الحاميات العثمانية والتي ابتلعت الطعام مثلها مثل الجيش العربي و(لورانس) فقد أوهمهم الجنرال (النبلي) بتقدمه نحو احتلال غزة من الحدود المصرية لتعبئ الحاميات العثمانية في فلسطين كل قواتها صوب غزة وتترك خطوطها الخلفية ضعيفة مما أعطى الفرصة للجيش العربية بالتقدم. وهنا طمع لورانس أن يدخل درعا هي الأخرى بعد أن ضغطت القوات العثمانية في اتجاه الساحل ولكن الجنرال (النبلي) لم يوافق على تحريك جندي واحد لا عربي ولا بريطاني. فتحرك لورانس على رأس حامية صغيرة متوجهًا إلى مدينة درعا لاحتلالها بمفرده. وعندما علم الجنرال (النبلي)

بذلك ضمن مزيداً من إيهاام القوات العثمانية بالتشتت وتفريغ جبهتهم الغربية في القدس.

ولكن (لورانس) لم يكن يعلم أن (ناهي بك) القائد العسكري لحاميات سوريا العثمانية تلميذاً نجيباً خرج من تحت يدي (جمال باشا السفاح). فبمجرد دخوله إلى نطاق الأراضي المشمولة بالسيادة العسكرية العثمانية فارتابوا في أمره ومن معه فتمّ القبض عليهم ومثلوا للعرض أمام (ناهي بك) فأمر باعتقال المجموعة المرافقة له ، لم يرد قتله تخوفاً من إثارة مزيداً من حنق البريطانيين عليه، وكانت كل المعلومات عن تحركات جيش العرب تصل إلى آذان القادة العثمانيين أولاً بأول بما فيها مساهمات ودور (لورانس).

أطلق سراحه بعد عدة ساعات وعاد لورنس سريعاً إلى ملاقاته (فيصل) في مدينة معان.

لم يكن يدرك الشريف (الحسين بن علي محمد بن عبد المعين بن عون) الذي كني بالشريف فقط لأنه أصبح القائم على إمامة مكة أن السير (سايكس) عندما زاره في جدة في يونيو عام ١٩١٧م وصمم له علم الثورة المكون من ثلاثة ألوان متوازية بالعرض أسود تعبيراً عن الدولة العباسية ثم أخضر تعبيراً عن الدولة الفاطمية ثم أبيض تعبيراً عن الدولة الأموية ويجمعها مثلث لونه أحمر تعبيراً عن الدولة الهاشمية وبذلك رسخ في ظنه أن البريطانيين يدعمون فكرة زعامته

الجوفاء وخلافته للمسلمين أجمعين على أرض آسيا العربية. وفي نفس الوقت كانت الثورة البلشفية للعمال تتمكن من مقاليد الحكم في روسيا وتعلن في جرائدها عن اتفاقية سرية برعاية القنصل الروسي السابق (سازانوف) قد أبرمت فيما بين السير (سايكس) البريطاني والسيد (بيكو) الفرنسي وتتص على سبعة عشر بنداً يقسمون فيها كعكة منطقة الهلال الخصيب من فلسطين وحتى اسكندرونة ومن بيروت وحتى اليمن مع ترك مساحة للانتداب الدولي داخل فلسطين وتحديدًا من ساحل البحر الأبيض المتوسط وحتى القدس ليتسنى لهم استكمال مخططهم بإنشاء كيان بشري يشرذم الوحدة العربية الدينية والثقافية واللغوية، ورغم ذلك بمجرد أن وصلت رسالته رسالة جمال باشا وزير البحرية العثماني والقائد العام السابق لولاية الشام وقائد الجيش الخامس المدفعي يحذره فيها من البريطانيين ويطلب منه أن يعود إلى أحضان المملكة العثمانية. لم يفهم المغزى وطلب من البريطانيين أن يوضحوا له؛ ماذا يعني جمال باشا الاتحادي العثماني الملحد والقاتل بأن هناك اتفاق سري بين فرنسا وبريطانيا لتقسيم أراضي العرب فيما بينهم؟. وقد نشرت مسودته في الصحف الروسية والمصرية.

كان طمعه في الزعامة وتولى الحكم والجلوس على عرش الخلافة الإسلامية وتنصيب نفسه إماماً عامّاً لجموع المسلمين يعمي عينيه عن المخططات التي تُحاك.

أرسل البريطانيون له السير (هربرت صموئيل) القائم بتنفيذ عملية إنشاء وطن لليهود في فلسطين وتسكينهم وترحيلهم من بريطانيا تمامًا. والذي شرح له الموقف بأنهم قلّة مظلومة ومضطهدة وهم في الأصل أبناء عمومة مع العرب فمن يكون أكثر من العرب ضيافة لأبناء عمومتهم كما أن (جمال باشا السفاح) هدفه من الرسالة أن يوقع فيما بين البريطانيين والعرب حتى يقضي على فكرة الدولة العربية المستقلة. وعندما وجد السير (هربرت صموئيل) تقبلاً من الشريف (حسين بن علي) قائد الثورة العربية وخليفة المسلمين القادم، أعطى الضوء الأخضر لوزير الخارجية (آرثر جيمس بلفور) بأن ينسق الخطوة الأخيرة مع زعيم آل روتشايلد في بريطانيا (ليونيل وولتر دي روتشايلد) . ويرسل اللورد دي روتشايلد خطاباً رسمياً موقفاً من وزير خارجية بريطانيا العظمى إليه بصفته العقائدية تجاه اليهود إلى جميع الصحف في بريطانيا العظمى، نصه كالتالي:

"عزيزي اللورد روتشايلد"

يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالتة، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أمانى اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته..

"إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي، وستبذل غاية جهدها لتسهيل

تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر"

وسأكون ممتناً إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علماً بهذا التصريح.

المخلص..

آرثر جيمس بلفور"

وكان ذلك في أول نوفمبر من عام ١٩١٧ م أي بعد الكشف عن اتفاقية (سايكس - بيكو) بأربعة اشهر فقط.

obeikan.com

(٢٤)

يوم مات صلاح الدين

يموت الإنسان عندما ينقطع ذكره من الدنيا، وهيئات هيئات ما بين
ذكر وذكر.

الخنجر الأول

٩ ديسمبر عام ١٩١٧ م ، مدينة القدس

(إنه ما دامت الغاية من وعد بلفور هو أن تُهيئ لليهود ملجأ من الاضطهاد، فإني سأبذل كل جهد لأُساعد في تحقيق تلك الغاية).

- إلى سكان بيت المقدس وأهالي القرى المجاورة:

"إن انهزام الأتراك أمام الجيوش التي تحت قيادتي، أدى إلى احتلال مدينتكم من قبل جيوشي. وفي الوقت الذي أذيع عليكم فيه هذا النبأ، أعلن الأحكام العرفية. وستبقى هذه الأحكام نافذة المفعول ما دامت ثمة ضرورة حربية. ولئلا ينالكم الجزع، كما نالكم من الأتراك الذين انسحبوا، أريد أن أخبركم أنني أرغب أن أرى كل واحد منكم قائماً بعمله وفق القانون، دون أن يخشى أي تدخل من قبل أي كان.

وفضلاً عن ذلك بما أن مدينتكم محترمة في نظر أتباع الديانات
الثلاث الكبرى، وترابها مقدس في نظر الحجاج والمتعبدين الكثيرين
من أبناء الطوائف الثلاث المذكورة منذ قرون وأجيال، أودُّ أن أحيطكم
علمًا بأن كل بناء مقدس، ونصب، ومكان مقدس، أو معبد، أو مقام، أو
مزار، أو أي مكان مخصص للعبادة من أي شكل والى أي طائفة من
الطوائف الثلاث، سيصان ويحتفظ به عملاً بالعبادات وبالنسبة إلى
تقاليد الطائفة التي تملكها"

تلك كانت كلمات الجنرال (النبوي) من الدرج العلوي لقلعة الخليل
بالقدس. يلقيها على جمهور الشعب بعد دخوله إليها راجلاً وهادئاً
ليس احتراماً وإجلالاً، وإنما زهواً بالانتصار وفخراً بالقوة بعد أن قتل
ودمر في أقدم مدن الأرض لمدة أربعة أيام يرسل قذائفه في فيالق
متتالية حتى أيقنت القوات العثمانية أن البريطانيين داخلوها لا محالة.
فقد صدرت الأوامر إلى (عزت بك) المتصرف العثماني بالقدس
بالانسحاب منها والتقهقر إلى سوريا لتشكيل قوة ضاربة منعاً للتشتت
والانهزام وعليه فقد التقى مفتي القدس كامل الحسيني، ورئيس البلدية
حسين سليم الحسيني، في مدرسة المطران، وقال لهم :

- إن البريطانيين أحاطوا القدس، ويستعدون لاحتلالها، وأود أن أضع
بين أيديكما حملاً ثقيلاً، وهو تسليم المدينة للمحتلين. وعليكم أن
تسلموا تلك الوثيقة لقائدهم الميداني:

"إلى القيادة البريطانية:

منذ أربعة أيام والقنابل تتساقط على القدس المقدسة لدى كل ملة،
فالحكومة العثمانية رغبةً منها في المحافظة على الأماكن الدينية من
الخراب وعلى المواطنين من القتل، قد سحبت القوة العسكرية من
المدينة، وأقامت موظفين للمحافظة على الأماكن الدينية كالقيامة
والمسجد الأقصى. وعلى أمل أن تكون المعاملة من قبلكم على هذا
الوجه، فإني أبعث بهذه الورقة مع وكيل رئيس بلدية القدس حسين بك
الحسيني"

متصرف القدس عزت بك

سلمت الوثيقة إلى قائد الفرقة كولونيل (جين) ليدخل القدس الجنرال
(النبى) بعد يومين ويلقى خطابه الشهير.

وفي جدة كان الشريف (حسين بن علي) قائد الثورة العربية وخليفة
المسلمين يعطي وعوداً هو الآخر فهو ملك وإمام فقد أعطى وعده
للسير (هربرت صموئيل) قائلاً:

"إنه ما دامت الغاية من وعد بلفور هو أن تُهيئ لليهود ملجأ من
الاضطهاد، فإني سأبذل كل جهدٍ لأساعد في تحقيق تلك الغاية."

وحان الوقت الحاسم لسلخ (فيصل) عن أبيه تماماً وأن يكون قائد
الثورة العربية ككل وليس قائد عام للجيش فقط. فأمنيات بريطانيا

بالتوافق مع الصهاينة واليهود قد لآح في الأفق بوادر تحقيقها ولكن (لورانس) قد استشعر القلق من انتفاضة القوميين العرب في بيروت وعمان وسوريا ومنها أصوات تطالب برأسه وتقذف الشريف (حسين بن علي) بأقذع الشتائم، وفي نفس الوقت فقد جمعت المملكة العثمانية جيوشها الثالث الثامن والخامس في الشام تحت إمرة (جمال باشا) العسكري المخضرم وسفاح الابدات واكتساح المعارك ويخلفه في القيادة (مصطفى كمال) بك العقيد والذي شارك في عدة معارك ومعروف عنه الذكاء والشراسة، وخطوط الإمدادات العسكرية مفتوحة مع اسطنبول على طول الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وإذا لم يتم ذلك تلك الجيوش بسرعة فربما تفشل الخطط جميعها. فانتقل (لورنس) إلى مقر القيادة الإنجليزية والتقى الجنرال (النبلي) وطالبه بالدعم لاستكمال الثورة العربية.

- هل ما زلت مُصر على أن هؤلاء الهمج يقومون بثورة يا (توماس) ؟
- نعم يا سيدي، فقط نحتاج للمؤن والأموال، لا يمكن تحقيق انتصار فعلي واحتلال ولاية الشام العثمانية إلا إذا تعاونت القبائل العربية كلها مع الجيش البريطاني، فالحامية العثمانية كما تعلمون مكونة من ثلاثة جيوش متمرسة في القتال وتحمل أقسى الظروف ولديهم وسائل اتصال مع اسطنبول.

- إذا لا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال الخطة (دال) يا توماس.

- نعم يا سيدي، إذا ما مددتي بالأموال والمؤن والذخيرة. أستطيع سلخ فيصل تمامًا. عن أبيه وإخوته واستغلال كل القوات لدحض القوات العثمانية في مدة أقل من المتوقع.

- إليك ما تريد يا توماس.

وفي خلال أقل من تسعة أشهر دارت معارك ما بين الجيوش العثمانية والبريطانية بالتعاون مع جيش (فيصل) راح ضحيتها الآلاف من الأبرياء أثناء اقتناص مدينة عمّان وبداية الدخول لولاية الشام. بعد أن تمّ جمع جيش من القبائل العربية طوق الجيوش العثمانية من ناحية الجنوب الشرقي وفي ذلك الوقت كانت القوات البريطانية تسيطر تمامًا على العراق منذ ما يقرب من سنة كاملة فأرست قواعد عسكرية وأمنت حدودها وقطعت خطوط الاتصال ما بين اسطنبول وحامياتها الشرقية وعندما اشتدّ الحصار على ولاية الشام وتضاعفت القذائف المتفجرة ليلاً ونهاراً وانهارت القوات، هرب (جمال باشا) بشكل رسمي تاركاً خلفه العقيد (مصطفى كمال) بك وعندما لم يجد مفرّاً من الهزيمة فقد هرب هو الآخر عائداً إلى اسطنبول وترك الجنود وصغار الضباط يلاقون حتفهم على يد الجيش العربي والقبائل وتحت حماية الجيش البريطاني. وفي يوم ١ أكتوبر من عام ١٩١٨ م دخلت الفرقة الاسترالية إلى دمشق بعد أن تسلل الجاسوس (لورانس) إليها ورتّب لضمان عدم قيام ثورة مضادة من السوريين واللبنانيين

فقد كانت كل الآراء تجمع على أن القوميين العرب يحركون الشارع السوري واللبناني ضد دخول القوات البريطانية والتي ستحتل البلاد ولن تخرج . بينما استطاع لورانس ومعه (عودة أبو تايه) من تجنيد حلفاء داخل دمشق ليتمّ تنصيب أحدهم حاكمًا عسكريًا على المدينة ويتمّ قمع الرفض من قبل القوميين العرب بالسلاح وبعد أن تمّ القبض على البعض وقتل الآخرين فقد استقرت الأحوال وخرجت فلول الجيش العثماني المستسلم من دمشق.

وكانت أولى المحطات في صباح اليوم التالي يوم ٢ أكتوبر من عام ١٩١٨ م هي زيارة الجامع الأموي وضريح صلاح الدين الأيوبي الذي له أثر بالغ وكبير في أوروبا وتحديدًا على قارئ التاريخ من البريطانيين والفرنسيين وقادتهم العسكريين لأن صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية في مصر هو من حرّر القدس من الاحتلال الصليبي بعد أن قضى على حملة الملك ريتشارد الأول ملك إنجلترا في القرن الثاني عشر الميلادي. ووقف الجنرال (اللنبي) بعد أن دخل دمشق عاصمة الشام ودرّة الشرق وكله افتخار بنصره وقال أمام ضريح صلاح الدين :

(اليوم انتهت الحروب الصليبية، قلتها يوم دخلت القدس واليوم أقولها ثانية يا صلاح الدين).

بينما وقف الجاسوس (لورانس) متفحصًا للضريح المرمرى وناظرًا

للإكليل الذهبي من فوقه، ثم مدّ يده وانتزعه من مكانه.

وبعد ظهر اليوم أُعدت احتفالية عسكرية لدخول (فيصل) دخول الفاتحين مرتدياً الزي العسكري على نسق الزي البريطاني والشال العربي والعقال المميز ونزل من القطار وتوجه إلى مقر البلدية بعد أن استقبله صديقه العزيز (لورانس) في وجود الجنرال (النبلي) وحلّ الحكومة المؤقتة والتي استمرت فقط ثلاثة أيام وشكل حكومته الجديدة بعد أن وُلّي ملكاً على الشام بداية من فلسطين وحتى الأطراف الشرقية لسوريا مع حدود المملكة العثمانية، إلا أنه فوجي بقرار الجنرال اللبني بتقسيم الشام إلى منطقتي نفوذ للجيش البريطاني والفرنسي وفي نفس الوقت تحركت القوات الفرنسية واحتلت ساحل البحر المتوسط على طول المواقع التي كانت تتمركز فيها. وفي نهاية أكتوبر من عام ١٩١٨ م وقعت المملكة العثمانية الهدنة واستسلمت في الحرب العالمية. بعد تفوق الحلفاء وانتصاراتهم وعادت بموجب الهدنة وتدخل الجيوش البريطانية الفرنسية في أراضيها إلى الحدود الأصلية للأتراك العثمانيين.

سعى الجاسوس (لورانس) في بريطانيا بكل جهد لاستصدار دعوة موجهة للأمير (فيصل) لحضور مؤتمر الصلح في باريس بعد انتهاء الحرب العالمية. فلم يكن لمقرري المؤتمر في بريطانيا ميل لدعوة العرب. فالجنرال (النبلي) بعد أن سافر إلى بريطانيا لتسلم الوسام

الملكى الشرفى نظىر نجاحه فى احتلال الشام والعراق وإخراج قوات المملكة العثمانىة من الشرق الأوسط. قد ذكر فى كلمته :

"أنهم سىقوا إلى ما نرغب فىه وهكذا سنفعل فلا ضرورة لىجلسوا معنا على مائدة مفاوضات".

ولكن ضغوط الجاسوس (لورانس) والذى عدّ من الأبطال فى برىطانيا أتت ثمارها بعد أن أرسل للأمر فىصل للذهاب إلى برىطانيا ومنها ذهب بدعوة رسمىة لحضور مؤتمر الصلح وعندما حاول عرض مذكرة يطالب فىها بحدود الدولة العربىة المستقلة لم ىلق أى استجابة وتمّ تهمىش القضىة العربىة بالكامل وعندما رفض التوقىع فى نهایة المؤتمر على نتائجها والتى تنص برفض إقامة وطن لليهود فى فلسطين ورفض الانتداب الفرنسى والبرىطانى على الأراضى فى فلسطين والأردن وسوریا وبرىوت بناءً على اتفاقىة (سایكس - بیكو) فتمّ الضغط علیه وتهدیده من قبل السلطات البرىطانىة والذى كان حلیفهم وىأتمن بهم، فلم یكن فى هذا الوقت قد وصل إلى یدیه ویدی أبیه الشرفى (حسین بن على) سوى ثلاثة ملایین ونصف جنىه ذهب فقط من أصل المبلغ الذى وُعد به من قبل اللورد (كىتشنر) فرضخ ووقع على نتائج المؤتمر ومنح وسام الشرف العسكرى من السلطات الفرنسىة. وعرض علیه عرض آخر لم ىستطع أن یرفضه، قدمه له الوزىر (هربرت صموئیل) واللورد (لىونیل وولتر دى روتشیلد) بالاعتراف الرسمى بموجب وثيقة

رسمية على هامش مؤتمر الصلح نظير تمكينه من أن يكون ملكاً على الشام وأن يحصل على معونة من بريطانيا أو فرنسا أو كندا أو الولايات المتحدة حسبما يتمّ تقرير ذلك خلال جلسات لاحقة. تقدر بخمسة ملايين جنيه إسترليني كل عام.

كان من أهم قرارات مؤتمر الصلح في باريس أن صدر قرار بإنشاء عصبة الأمم المتحدة والتي تعمل على منع نشوب حرب عالمية في أي وقت مستقبلاً والعمل على فرض السلام بين دول العالم والحفاظ عليه وأن القرارات التي تعتمدها تكون سارية المفعول. ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية لم توقع بقبول كامل القرارات في المؤتمر لاعتراضها على الكثير منها لأنها لم تتل حظها من غنائم الحرب العالمية من الدول المهزومة وهي: المملكة العثمانية، إمبراطورية ألمانيا، إمبراطورية النمسا والمجر، مملكة بلغاريا إلا أنها أيدت حق العرب في تقرير مصيرهم وأوفدت لجنة لتقصي الحقائق.

وقع (فيصل بن الحسين بن علي) على اتفاقية (فيصل — وايزمان) بالموافقة على إقامة وطن قومي لليهود والصهاينة على أرض فلسطين والاعتراف بها دولة ذات سيادة ودعمها والعمل على التوافق والوثام بين الشعبين وسنّ قوانين تضمن حرية التعبير عن الشعائر اليهودية وإقامتها وتنظيم شكل الدولة ككل. وحصل على نسخته من الاتفاقية بعد أن اعتمدها عصبة الأمم المتحدة بمجرد التوقيع عليها من

الطرفين.

وعاد الملك فيصل إلى الشام وفي يده اليمنى اتفاقية تأمين استيطان الصهاينة في فلسطين وفي اليد اليسرى صندوق ملكي به نصف مبلغ المعونة لعام ١٩١٩ م من الجنيهات الذهبية.

١٤ إبريل ١٩١٩م

في اليوم المخصص لزيارة الوفود العسكرية والتي شاركت في الحروب الاستعمارية والحرب العالمية من قدماء المحاربين وهو يوم الاثنين من كل أسبوع، تتجول مجموعة من الضباط والجنود والذي ضحوا بأنفسهم من أجل رفعة مملكة صاحب الجلالة "مملكة بريطانيا العظمى ودول الكومنولث واسكتلندا" وبينما يتفقدون قناعاً إفريقيًا خشبياً ملوناً من تحت الزجاج انعكست صورة من خلف زجاج مكتب السير (جوناثان كين) مدير متحف الحرب الإمبراطوري جالساً و أمامه البطل البريطاني العظيم (توماس إدوارد لورانس) يعرض عليه مجموعة من المقتنيات يهديها للمتحف باسمه.

- هل يمكنك تقديم مذكرة موقعة منكم بتفاصيل كيف وصل إلى يديكم هذا الإكليل الذهبي يا سيد (لورانس) ؟

- سيدي سير (كين) ، لقد أخذته من فوق ضريح صلاح الدين الأيوبي في دمشق يوم دخلت قواتنا الباسلة إليها.

- ولماذا فعلت ذلك؟

- لم يعد بحاجة إليه الآن.

- إذا سيتمّ تسجيله في سجل المتحف باسمكم وكما ذكرت يا سيد (لورانس) بأنه بدون مذكرة تسجيل رسمية

- وإن يكن، لا مشكلة

- شكرًا لك سيد (لورانس)

الخنجر الثاني

٢٥ يوليو ١٩٢٠ م، ضريح صلاح الدين، دمشق

(عندما تتحدث عن الخيانة فلا يمكن ذكر النصر)

كعادتها الدول الاستعمارية عندما تريد إقرار أحلامها ومأربها فإنها تدعو الدول التي تتوازن معها في القوة لعقد قمة أو مؤتمر لتصير أحلامهم وأمانهم فرضاً على دول باقي العالم من المستضعفين والفقراء والأقلية.

بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها وقبل أن يتم حصركم الهلاك الذي لحق بأعداد البشر على كوكب الأرض تمّ التنسيق فيما بين بريطانيا وفرنسا لعقد مؤتمر صلح في باريس عام ١٩١٩م لتوزيع الغنائم فيما بينهم وإعادة رسم الخرائط والحدود بين الدول بما يخدم مصالحهم مستقبلاً وتمّت دعوة كل الدول التي شاركت في

الحرب العالمية لحضور المؤتمر.

ولما كان العرب والمسلمون كأمة هم المستهدفين فتمّ تناسي القضية العربية بالقصد لأن الاعتراف بهم وبأراضيهم معناه إقامة دولة عربية ذات سيادة ربما تخالفهم وتؤثر على مصالحهم ولذلك كان من الضروري أن تبقى منطقة الهلال الخصيب والشرق الأوسط في تنازع داخلي يعطيهم الحق في التواجد بصفة دائمة.

مال الرئيس الأمريكي (ويلسون) إلى إعطاء الحق للعرب لتقرير مصيرهم بأنفسهم مما نشب عنه خلاف حادّ فيما بينه وبين رئيسي وزراء بريطانيا وفرنسا. لم يهدأ هذا الخلاف إلا بعد أن هددت الولايات المتحدة الأمريكية بالانسحاب من المؤتمر وعدم الاعتراف بنتائجه ولما لم تجد رداً حاسماً من مملكة بريطانيا العظمى وجمهورية فرنسا فقد انسحب الوفد الأمريكي بشكل غير معلن رسمياً وامتنع عن التوقيع أو إقرار النتائج الصادرة في أول أيام المؤتمر وبعد لقاء سري فيما بين رئيس الولايات المتحدة والأمريكية ورئيس وزراء بريطانيا ورئيس وزراء فرنسا عادت الولايات المتحدة إلى حظيرة التوقيع على القرارات دون مناقشة ولماذا كانت سترفض بعد أن وُعدت بحق حصري في التنقيب عن البترول والمعادن والثروات في أراضي نجد والحجاز.

خسر فيصل بن علي الحليف الغربي الوحيد في المؤتمر ووقع اتفاقية (فيصل—وايزمان) مضطراً وراضياً

عاد إلى الشام وجمع جيشه ونظمه. وتحركت كل القوى السياسية من جمعيات العربية الفتاة والعهد في لبنان وسوريا والأردن وفلسطين لدعمه وتأييده فالبرغم من نظرتهم له على أنه خائن للأرض وطامع في الحكم على حساب أي قومية بتوقيع اتفاقية مع زعيم اليهود (وايزمان) إلا أنه كملك عربي أفضل ملايين المرات من محتل غاشم وسارق للأرواح والأيام.

وبعد صراعات فكرية ومشاورات تمَّ عقد المؤتمر السوري العام في نهاية شهر يونيو من عام ١٩١٩ م في النادي العربي في دمشق، في شارع بورسعيد قرب سينما الأهرام وتمَّ انتداب تسعين عضوًا من كل مدن الشام من أقصى الغرب مع حدود مصر وحتى آخر ولاية شمالية مع حدود المملكة العثمانية المنهزمة على أن يكون الأعضاء مفوضون بموجب توقيعات من أهالي المناطق التي يقطنونها وتمَّ تشكيل المجلس الأعلى للمؤتمر واستمرت جلساته ومناقشاته حتى نهاية يوليو عام ١٩٢٠ م وخرج ببيان كامل نص على استقلال سوريا باسم المملكة السورية العربية بحدودها الطبيعية بما يضم لبنان وفلسطين والأردن والأقاليم السورية الشمالية والتي ضمتها المملكة العثمانية لأراضيها بعد معاهدة الصلح مع بريطانيا وفرنسا في نهاية الحرب العالمية وبعد فعاليات مؤتمر الصلح في باريس. على أن تكون ملكية دستورية بزعامة الملك (فيصل بن الحسين بن علي) ملكًا على المملكة السورية العربية

وتمّ إقرار أن يكون البرلمان الأول للمملكة مُشكلاً من أعضاء المؤتمر السوري العام.

وتمّ تشكيل الحكومة والجيش والبلدية والديوان الملكي وتمّ إخطار قوات الحلفاء بنتائج المؤتمر وما أن مرّت إلا عشرون يوماً وقد أعدت مملكة بريطانيا وجمهورية فرنسا مؤتمراً جديداً للالتفاف على نتائج المؤتمر السوري تحت اسم مؤتمر (سان ريمو) وتمّ دعوة الملك فيصل بن الحسين لحضور المؤتمر ورفض الحضور وأوفد بديلاً عنه رئيس الحكومة (رضا الركابي) بينما كان يتصل هو بشكل سري بالعقيد (مصطفى كمال) زعيم الأتراك وقائد الدولة الجديدة ولم يكن يدرك أن (مصطفى كمال) سيستخدمه كقطعة على قالب الشطرنج ليضغط على جمهورية فرنسا كي تخلي الأقاليم الشمالية من سوريا تماماً وتجلي قواتها لتعود تحت السيطرة التركية بشكل كامل وبموجب اتفاقية رسمية موقعة وبشكل سري تحت اسم (اتفاقية أنقرة).

وما أن عاد (الركابي) حتى اتهم بالخيانة وتمّ إقصاءه لموافقته على بنود مؤتمر سان ريمو والذي تركّز نتائجه على تطبيق اتفاقية (سايكس - بيكو) ولكن بشكل معدل وبحدود جديدة فما ستفقدته فرنسا لصالح تركيا ستعوضه على أرض الشام.

كان (يوسف العظمة) المقاتل الشرس والوطني المخضرم هو قائد الجيش، وبعد أن جهزت جمهورية فرنسا حملة حربية متكاملة وصلت

إلى شواطئ لبنان في شهر أغسطس عام ١٩٢٠ م بعد أن رفضت جموع القوى الوطنية في سوريا مقررات مؤتمر سان ريمو. فقد أذرت الحكومة الفرنسية الملك فيصل من خلال إنذار وجهه الجنرال (هنري جوزيف أوجين غورو) قائد القوات الفرنسية في الشام بقبول نتائج مؤتمر سان ريمو وتفعيل الانتداب الفرنسي وعدم الاعتراض ووقف حملات القائد (يوسف العظمة) للتجنيد الإجباري.

وبعد عدة اجتماعات في القصر الملكي برئاسة الملك فيصل وأركان المملكة السورية مجتمعين تمّ الاتفاق على قبول الإنذار والتخلي عن تأسيس الجيش وتسريح القوات المتطوعة من صفوف الشعب وقبول إقامة وطن لليهود في فلسطين والسماح للقوات الفرنسية بإدارة خط السكك الحديدية دمشق الحجاز ولكن القائد المخضرم (يوسف العظمة) وزير الحربية رفض التخلي عن القتال أمام القوات الفرنسية والدفاع عن وحدة واستقلال أراضي سوريا العربية. فأصدر الملك فيصل قرارًا ملكيًا بتسريح القوات العسكرية المنتشرة على الحدود في مواجهة القوات الفرنسية.

وقبل أن يصل إلى الجنرال (غورو) موافقة الملك فيصل بقبول الإنذار، أعلن الحرب على الأراضي السورية وقبض على أعيان لبنان الذين تجمّعوا لمبايعة الملك فيصل ملكًا على سوريا العربية وأمر بإعدامهم. فما كان من الملك فيصل إلا توجيه رسالة إلى الشعب السوري للتطوع

لقتال قوات فرنسا التي تريد احتلال سوريا العربية تحت إمرة القائد (يوسف العظمة) وما أن وصلت الرسالة إلا وانضم أكثر من أربعة آلاف مقاتل إلى الجيش السوري العربي كان من بينهم علماء ورجال دين وأطباء وطلاب انضموا جميعاً دفاعاً عن قوميتهم في وجه الاحتلال.

ولكن عندما تتحدث عن الخيانة فلا يمكن ذكر النصر، خرج القائد (يوسف العظمة) بجيشه مسلحين ببنادق (لي انفليد) إنجليزية الصنع من طراز عام ١٩١٤ م وبعض المتفجرات والقنابل الخفيفة لملاقاة قوات تقدر بتسعة آلاف مقاتل مسلحين بدبابات وطائرات ومدافع قذائف متفجرة وفي منطقة ميسلون ربطت قوات الجيش السوري وأعدت أفخاخاً متفجرة للنيل من الخطوط الأولى للقوات الفرنسية إلا أنها لم تنفجر ووجدت بعض الفصائل السورية المقاتلة عند الالتفاف للتأمين بعض المقاتلين من الموارنة السريان والذين نزلوا من جبل لبنان للتعاون مع الجيش الفرنسي المحتل يمطرونهم بوابل من الطلقات ليتمّ القضاء عليهم وسرقة المؤن والعتاد العسكري. فبينما الخائن (القائم مقام جميل الألسي) يقطع أسلاك التفجير للفخاخ المعدة مسبقاً ويبلغ غورو بمناطق الضعف في انتشار الجيش السوري يجدون من خلفهم خونة آخرين يطوقونهم بالرصاص وسرقة الذخيرة والسلاح.

مرّت ثمان ساعات فقط استشهد فيها أكثر من ألف وأربع مائة مقاتل

عربي وجرح ما يقرب من سبع مائة آخرين واستشهد القائد (يوسف العظمة) خلال المعركة من قذائف الدبابات الفرنسية والتي تم توجيهها بفضل الخونة لينهار الجيش العربي سريعاً ويتمكن (غورو) من الزحف إلى دمشق والوصول إلى قصر الملك فيصل ويطرده ومعه عائلته ليبيت ليلته في ميناء حيفا قبل أن ينفض إلى الحجاز. وفي ثاني يوم أعد (غورو) لنفسه موكباً مكللاً بالجوقة الموسيقية العسكرية وأكائيل الورود ليدخل إلى دمشق دخول الفاتحين وكان أول موقع أراد أن تطأه قدمه هو ضريح صلاح الدين الأيوبي.

وقف أمام الضريح واضعاً قدمه على حافته قائلاً:

"ها قد عدنا يا صلاح الدين، فهل لك أن تقوم ممسكاً بسيفك وتطردنا، اليوم انتهت الحروب الصليبية وسيحكم بلادك الصليبيون".

تمت بحمد الله

مراجع الرواية

استخدمت بعض الوقائع والأحداث التاريخية المثبتة في سياق هذه الرواية للتدليل على الفكرة والرسالة والتالية بعض المراجع المستخدمة ..

- كتاب جذور البلاء .. عبد الله التل
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية.. د عبد الوهاب المسيري
- موسوعة ١٠٠٠ حدث إسلامي.. عبد الحكيم العفيفي
- أعمدة الحكمة السبعة.. ادوارد لورانس
- يقظة العرب.. جورج أنطونيوس
- وثيقة تشرشل البيضاء .. ونستون تشرشل
- الموقع الالكتروني للمتحف الحربي البريطاني
- ويكيبيديا الموسوعة الحرة بالإنجليزية

المؤلف في سطور

سمير حمدي قنبر

مهندس تصميم وتنفيذ الملابس والمنسوجات

الإصدارات الأدبية

رواية إلكترونية "دموع طال انتظارها"

رواية ورقية "السمرلاند"

كتاب ساخر ورقي "مصريين بالشطة"

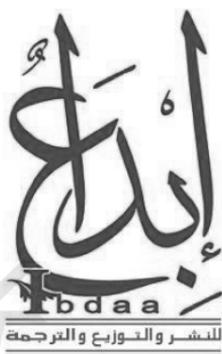
للتواصل مع الكاتب

مدونة سمير قنبر

<http://sameerkounbar.blogspot.com>

حساب الفيس بوك

<https://www.facebook.com/sameer.hamdy>



للاطلاع على أحدث إصدارات مؤسسة إبداع

يرجى زيارة الموقع الإلكتروني

www.prints.ibda3-tp.com